رواية
دار العين للنشر
علي قطب
كل
ما أعرف

إلى مَنْ تقاسموا معي حبيبتي الأولى

والموتُ بعضُ حبائلِ الأهواءِ

أبو نواس

"تذكّرت ملاعب الرومان ومحاكم التفتيش وجنون الأباطرة. تذكرت سِيَر المجرمين وملاحم العذاب وبراكين القلوب السود ومعارك الغابات. وقلت لنفسي مستعيذًا من ذكرياتي إن الدناصير استأثرت بالأرض ملايين السنين، ثم هلكت في ساعةٍ من الزمان في صراع الوجود والعدم، فلم يبقَ منها اليوم إلا هيكل أو هيكلان. وعندما يلفّنا الظلام أو تُسكرنا القوة أو تُطربنا نشوة تقليد الآلهة، فإنه يستيقظ في أعماقنا تراث وحشي ويبعث فينا العصور البائدة".

نجيب محفوظ - الكرنك

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

أحمد علي

غدير من الغدر، قلتها ووضعت يدي في جيبي

غدير من المغادرة، قلتها دون أن ألتفت له، ثم تقدمت خطوةً لأقف على الحافة.

"استنّى كده، لها معنى كمان، أنا فاكر إني شفته زمان في مفردات درس قراءة بس مكنش في كتاب المدرسة، كان في الأضواء تقريبًا وغالبًا كنت في...".

"اخلص"، قلتها مقاطعًا قبل أن يكمل حصة الذكريات.

سكت قليلًا، بلع ريقه، "مش فاكر بالظبط، ممكن أعبّر بأسلوبي".

"اتفضل"، قلتها بفتور.

"ولا مؤاخذة يعني ميّة البِرَك".

حينها أبعدت عيني عن الفراغ الواسع أمامي، وجدته يتخلى عن مكانه الذي كان قد استقرَّ فيه على مقدمة السيارة، يأتي ليقف جواري عاقدًا يده خلف ظهره، يوجه بصره للاشيء، ننظر للأرض البعيدة من القمة الجبلية الواقفين عليها؛ فنشعر بدُونيّة كل شيء، حتى غدير نفسها التي ظلت بالنسبة إليّ لفتراتٍ طويلةٍ جدًا طموحًا غير مشروع، بدت صغيرة مقارنةً بما أراه، في لحظةٍ ما يقرر أن يقطع الصمت الذي سيطر على عقولنا فيقول كلماتٍ لا أسمعها، يبعثرها الهواء فلا تصل لأذني، بطبيعة الحال حتى إذا وصلتني تكون غامضة، أحتاج منك يا محفوظ دائمًا إعادة ثانية، وأحيانًا ثالثة، وكعادتك تبخل عليّ بكلامك حين أحتاج إليه، لكن وقتما تتأكد من عدم وصوله إليّ ينطلق لسانك باستفاضةِ حكيمٍ بوذيٍّ قديم، فتقول لي ما أجهله؛ ليزيد جهلي به، مثلك كمثل غدير التي كلما ذقتها زاد احتياجي لها، فكانت كماء مالح لا يروي عطشًا.

maktabbah.blogspot.com

"مَش.. يلّا بينا"، قالها راغبًا في إنهاء كل شيء.

"وراك حاجة؟" متسائلًا.

"بصراحة أيوة"، باستسلام..

"إيه؟" أقولها بفضول غير قادر على كبحه.

"هقولّك بعدين"، بحسم..

للمرة الأخيرة أختلس النظر للأضواء المتمثلة في تلك العتمة الليلية، محاولًا التشبع بما أراه؛ لأكتشف أن الفراغ داخلي يشغل مساحاتٍ متزايدة، ثم أتحرك تجاه السيارة؛ فيشجعه ذلك على الحركة، أفتح باب السائق قبل أن أتراجع وأشير له ليحتله ويقلّني، أجلس جانبه وقد تاه عن وعيي كلّ شيء، وتملّكني إحساسٌ غير مُسمًّى، زادت الخيالات المتراصدة أمام عيني كأشباح سوداء تجمعت من ظلال موتى، يُفيقني بضغطاتٍ متتابعةٍ على الفرامل، فأطالبه بأخذ حِذره، فيبدأ بشكوى لا منتهية عن سوء حالة هذه السيارة العتيقة، يبدأ مقارنتها بسيارة ياسر الفارهة، رغمًا عني أنهزه فيصمت، كعادتك يا محفوظ لا تعطي الأمور قدرها، تعرف ما أعانيه بسبب ذلك الشخص، فتقصد فتح الجرح كحلّاق صحة غشيم.

بعد لحظاتٍ أتمالك أعصابي، وأتحدث معه بشكلٍ طبيعي؛ ليبدأ في حوار عبثي أحفظه جيدًا، يوزع محفوظ نظره بيني وبين الطريق بالتساوي، يرتب لي الحلول، يُصنّفها بين منطقية وغير منطقية، سألته عمّا كان سيفعله إذا وضعته الظروف مكاني، فيرد بهدوء: "عمري ما هكون مكانك، وبفرض ده حصل فأنت مش هتقدر تعمل اللي أنا هعمله"، فأصمت، كنتُ ولا زلت أعلم أني لا أملك القدرة على ردود الأفعال العنيفة، وأن الاقتراحات التي يقدمها لي محفوظ كافةً لن يطبقها، وبفرض كونه مكاني، وهذا لن يحدث كما أكّد لي، فإنه لن يتوانى عن اصطيادهما في وضعٍ مُخزٍ؛ ليخرج بعدها برأس مرفوع وبراءة مؤكدة، مشكلتك معي يا بنْ خالتي أنك لا تفهمني جيدًا،

maktabah.blogspot.com

بصراحةٍ أعمَق لا تفهمني على الإطلاق، فهناك فرق بين ما نود فعله، وما يحدث فعلًا، قد أرغب في إنهاء حياتهما لكن الحقيقة المؤسفة أنني لا أقدر على إيذاء نملة، شخصية جبانة لحدٍ كبيرٍ ومهزوزة لحدٍ أكبر، اكتشفت غدير ذلك منذ لحظات معرفتنا الأولى بدرس علم النفس، رؤضتني فأصبحت كلبًا وفيًا، كل ما يستطيع عمله هو خدمتها، طبيب نفسائي لمساعدتها على تجاوز الآلام، بلياتشو يضحكها أثناء ضيقها، صديقة كتُوم تبوح لها بأشياء تبدو كأسرار، وإن اكتشفت غير ذلك بمرور الوقت، استمتعت بتمثيل دور المُحبّة للحظات، فكان أداؤها متقنًا، أو هكذا اعتقدت، أعطتني بعضًا من جسدها، فحسبت نفسي امتلكتُها، سلبت روحي وودعتني برحيلها المعنوي إلى ياسر الذي يمتلك مفاتيح الرفاهية المختلفة، المضحك المبكي أنني من عرّفتهما ببعض، انعتني بالغبي إن أردت، لكن هذا ما حدث للأسف، قبل الاستطراد المملّ. تقف السيارة أمام البيت، أنزل فيخبرني محفوظ بأن السيارة ستبقى في حوزته لصباح الغد، فلا أهتم، يتحرك مسرعًا قبل أن أغيّر رأيي، أتذكّر حقيبتي التي تحوي اللاب التوب الخاص بي وبعض أوراقي ملقاة على الكنبة الخلفية، ألعن محفوظ الذي أنساني بتعجُله أخذ اللاب قبل أن يرحل، أبثّ بعض الطمأنينة بنفسي مؤكّدًا أنني نلت نصيبي من الأحداث السيئة؛ لذلك مهما يُصِبني مستقبلًا فلن يترك داخلي بصمةً أبشع مما سبق، ألقي بالتحية على البواب فيرد بهمهمات غير مسموعة، بعد أن أتجاوزه أرجع له وأسأله: "مدام غدير نزلت؟"، يقول محاولا إخفاء شبح ابتسامته الساخرة "مشفتهاش"، أتركه ولا أنتظر الأسانسير، يبتلعني السُلّم فأتمنى ألا أصل للشقة وأن تزداد الدرجات حتى أقع من طولي دون أن أبلغ سبيلي، إذا فكرت للحظاتٍ سأجدُني إن حاولت معالجة الأمر بأسلوبي فلن تنتهي الحكاية أبدًا، كما أن أسلوب محفوظ لن يُجدي لعدم معرفته بتفاصيل القصة كاملة، حتى إن علمها فهل تغير الحقيقة شيئًا داخله؟ لا أستطيع توقّع الإجابة أصلا، فلا أحد يعرف الحقيقة المطلقة، كل ما أقدر على تأكيده أنه لن يُظهر أمامي أي اختلاف يُذكر، أما ما بداخله فلن يعلنه إلا وقتما يُوقن أنني لا

أسمعه جيدًا، فهذه طبيعته التي حفظتها حتى كرهت التعامل معها، حتى إن وصلني كلامه فلن أفهم مقصده حتى يأتي الوقت المناسب، وبما أن وقت الفهم المطلق لم يَجِنْ بعد فلا جدوى لمعظم الحديث.
أولجُ المفتاح بالباب وأديره فأسمع تكّات الكالون المتوالية فأعرف أن غدير ليست بالداخل، أدخل المطبخ لأجد الورقة نفسها معلقةً على باب الثلاجة، "هَبَات عند ماما" كتبتها غدير بخطوطٍ مرتعشةٍ ضعيفةٍ على غير عادتها، أكشف كذبها دائمًا من كتابتها، رغمًا عني أتخيلها بين يدَيْ ياسر يستمتع بها بالطريقة التي يراها مناسبة، ولِمَ التخيُّل وهذا ما يحدث فعلًا، أفكر فيما أفعله في اللحظات القادمة، لم يتبقَّ في الرواية سوى نهايتها، ما زلت أفكر في ختامٍ مناسب، وحتى أحصل عليه ستظل تؤرِّق بالي وتشغل جزءًا كبيرًا من تفكيري، منذ بدأت صنع واقعي المتخيَّل على الورق وأنا في مشكلةٍ لا أعرف حلَّها، مشكلة لم يشاركني فيها أحد باستثناء غدير التي تدخلت لكونها فردًا أصابه الضرر، أعي جيدًا عدم استطاعتنا جني المكاسب كلها، لكن في الوقت نفسه لا يمكن مبادلة شيء قيِّم بآخر بخس دون رضا الطرفين، في حالتي هذه لم أخْتَرْ شيئًا، فقد فرضت عليَّ الظروف ما يمكنني الحصول عليه، أذكر أن كل ذلك حدث دون أدنى مقاومة تُذكر مني، أمسكت بالقلم وكتبت، نقرت حروفي على كيبورد صمَّاء، فظهر أمامي نور أضاء جانبًا خفيًا بين ثكنات روحي، صحيح أنني فقدت كثيرًا مقابل هذا النور، إلا أن تلك النشوة التي صحبت الكتابة أنستني إخفاقات مخجلة أخرى، كلما حاولت تناسيها ذكَّرتني نظرات غدير بكل تفصيلة مررتُ بها منذ اللقاء الأول حتى اكتشافي خيانتها، حينها يصدع السؤال المزمن رأسي، منذ متى تخونني غدير؟ تسألني نفسي اللوَّامة عن سبب ذلك السؤال، فأرد على الفور إنني أود معرفة هل تمت الخيانة قبل الكتابة أم بعدها؟ لعلَّ سؤالي الداخلي الدائم الذي يتردد عليَّ حول ترتيب الأحداث المهمة في حياتي يرجع مغزاه لرغبتي بمعرفة سبب كل شيء حدث، الخيانة أم الكتابة، كان أكثرَ استفهامٍ تردد بعقلي، وطالما كانت لديَّ أسباب مقنعة لاختيار أحدهما، وإن كنت

أتمنى دائمًا أن تكون الخيانة هي الفعلة الأولى، إذا حصلتْ على الإجابة سأستطيع السيطرة على مجريات الأمور، سأصبح للمرّة الأولى صاحب الفعل، لا أعرف من أين اكتسبت هذه الثقة المفاجئة، لكنني أعرف جيدًا أنها ستزول بعد دقائق لأرجع شخصية منساقة تنسى كل فعلات غدير بمجرد ابتسامة منها، دائمًا أقول لمحفوظ إنني على استعداد للمسامحة، على استعداد لنسيان كل ما فعلت نظير أن تقطع علاقتها بياسر، حينها يرد عليّ محفوظ بنظرةٍ متشككة، أعرف ما تحويه فأنفي عن نفسي تهمة عدم الرجولة قائلًا: "ربنا بيدوّقنا المَرّ يا محفوظ علشان لما ندوق الحلو نحس بفرق، مشكلتي الأساسية أني استطعمت الوِحش ففسدت حاسة التذوق عندي، فهمت قصدي؟ غدير المر الحلو بالنسبة إليّ، أفعل أي شيء في الدنيا مقابل نظرة رضا، بسمة حانية، قبلة طويلة يتلامس فيها اللسانان، ويا سلام لو وصلنا لما هو أبعد من ذلك"، أضحك ساخرًا، فالحديث عن علاقة جنسية بيننا الآن يندرج تحت بند أفلام الخيال العلمي، أنظر في نتيجة الحائط فأجدنا في بدايات شهر أبريل فأقول لنفسي لا مانع من بعض الكذب، أحوّل نظري للساعة المجاورة لها فأجدها تجاوزت منتصف الليل، أفكر في الاتصال بها لكني أتراجع، أمسك بالموبايل، أجد نفسي أتصل بمحفوظ، يخبرني صوت بارد بأن الهاتف مغلق أو غير متاح، ألعن غبائي الذي جعلني أنسى حقيبتي بما تحويه في السيارة، أبعث له برسالة طالبًا منه محادثتي فور رؤيتها، ألقي بالموبايل على الطاولة المقابلة لي، أعتدل في جلستي حتى تصبح ملائمة للنوم، ما إن أغفُ حتى تمتلكني الخيالات فأرى فيما يرى النائم نفسي جالسًا داخل عقلي وأكتب، تصحب الكتابة تلك الهالة البيضاء التي تبتلع ذاتي، ما إن أتوقف وأرفع رأسي عن الأوراق حتى ألمح غدير وياسر يتدربان على وضع جنسي متشابك، أمسح العرق الذي انساب بغزارة من جبهتي فأغرق ورقي، أشعر بإرهاق أقاومه، أكتب، تبتلع دوائر شديدة البياض كل شيء من حولي حتى غدير وياسر، أسمع وقْع أقدام تقترب، أرفع رأسي ثانية؛ لأجد شخصًا يخترق حواجز كتابتي ببطء، كان محفوظ مرتديًا جلبابًا

أبيض وعباءة زرقاء، أراه خارجًا من أوراقي، ألاحظ لحيته الكثيفة التي لم يتركها تصل لهذه الدرجة من قبل، أمدُ يدي بالسلام فيتجاهلني ويُربِّت بيده على كتفي، في هذه اللحظات أشعر بخبطات متتابعة على باب الشقة، أحاول التحرك لفتح الباب إلا أن محفوظ يمنعني ويزيد من إحكام قبضته على كتفي، أسأله الذهاب فيقول: "لن تذهب" فأرجوه أن يتركني فيرد بالإجابة نفسها، ومع اشتداد الطَّرق يقول: "ألا أخبرك بأشياء إن فعلتها لن يتركك القلق أبدًا"، فأردُ "أخبرني"، فيقول: "اتبع غدير، استمر بعملك عند ياسر" يسكت لبرهة قبل أن يكمل: "ولا تترك أوراقك إلا لتفدي بها عنقك"، ومثلما أتى في هدوء اختفى بسرعة.
حينها قمت لأفتح الباب فلم أجد أحدًا، أرفع كُمَّ القميص فأرى الآثار التي تركتها أصابعه على كتفي، أحاول تجاوز ما حدث فأنظر للساعة في محاولةٍ لتحديد موعد فاتني ولا أذكره. ثم أعود لأجلس مكاني وأنظر للساعة ثانية، أغلق عيني، أفتحها، أنظر مجددًا للساعة فألعنها لعدم تحركها. أشعر أن الجليد المتراكم بقطبَي الكرة الأرضية أمسك بعقاربها؛ ليجعلها تجرُ أرجلها بثقلٍ يمنعها من التحرك بشكل طبيعي؛ ليمنحني مزيدًا من الكآبة التي تضغط على جهازي العصبي، فتجعلني مشوَّشًا أكثر من أي وقتٍ مضى. أتصل بمحفوظ فأجده ما زال غير متاح، أحاول مع غدير فيجيبني الصوت الذي أمقته بأن الهاتف المطلوب مغلق، أجرب الاتصال بياسر فلا يرد فأوقن أنهما معًا. أما محفوظ فيمارس هوايته المفضلة في تعرية أنثى أوقعها حظُها العاثر في طريقه، ثم يأتي ليحكي لي ما حدث بكُلِّ التفاصيل المثيرة للاشمئزاز. أقطر ذاكرتي فترشدني لما يُضحكني حينًا وما يبكيني أحيانًا أخرى. أبحث عن طريقة فعَّالة للنسيان حتى أتمكن من المواصلة الهشَّة، لا أجد شيئًا. فأبحث في المكتبة عن كتاب يُمكِّنني من قطع الوقت، أسحب كتابًا بشكلٍ عشوائي دون النظر لعنوانه أو اسم مؤلفه، أفعلها حين تخبُطي فلا يسعفني عقلي لأي اختيار مهما كان بسيطًا.
أنظر لعنوانه فأجده عن التنمية البشرية وطرق استثمار الذات فيصيبني الإحباط؛ لكوني غير مهتم بهذا الهُراء الذي تعشق غدير

قراءته. أتعجب لعدم تفكيري في مشاركتها ما تحب من أشياء، يرد مبرر داخلي "ما هي كمان عمرها ما شاركتك في حاجة بتحبها، المعاملة بالمثل"، أتذكّر أيضًا أنها لا تقرأ ما أكتبه مهما طلبت منها ذلك، وأتذكر أيضًا أنها الراعي الرسمي لأيّ ألمٍ أشعر به، وأتذكر أيضًا أنها خائنة، وأتذكر أيضًا، لقد نسيتُ، إنها السبب أيضًا في هذا النسيان المفاجئ.

***

الحكي، الحكي هو ذلك الشيء الوحيد الذي أعتقد تميّزي فيه يا صديقي، وطالما كانت الكتابة هي أداة هروبي من عالمٍ سيئ نجحت غدير في تشويهه بامتياز. رغم استطاعتي كتابة مواقف لم أعِشها فإنني دائمًا أهرب من المواجهة، لا أحب أن أكون الحدث، بقدر ما أحب الكتابة عنه وتخيّل تصرف كل طرف، أصبحت الكتابة أداة تعريفي بنفسي من جديد. كانت بدايتي معها عسيرة حتى توصلنا لصيغة مناسبة للاتفاق، كنت في موقف الأضعف فوافقت على قوانينها كافة، اندمجت في اللعبة وعرفت كيف أستمتع بها. بمرور الوقت اعتزلت العالم قدر الإمكان وتفرغت لها. أنهي عملي، وأعود لأخرج الأقلام والأوراق ثم أشرع في كتابةٍ لا نهائية، حين أعود للمنزل أمسك بالمسوّدة، أحوّلها على اللاب توب لنسخةٍ إلكترونية، أكتب، أمسح، أعيد الأمر مرارًا، ما يتبقى بعد ذلك أقوم بتعديله حتى يخرج نصًا أراه مناسبًا لفترة. إذا شاءت الظروف أن أنشره خلال فترة رضائي عنه فعلت، أما إذا مر وقت وأعدتُ القراءة ثانيةً ينتابني شعور بإمكانية كتابة نص أفضل فأضعه جانبًا وأنساه لفترةٍ قبل أن أعود له ثانية، وآخذ بعضًا من فقراته التي أراها مناسبة للمساعدة في عمل جديد. ما أدهشني حقًا أن أفضل النصوص التي خرجت من تحت يدي تكون خلال أوقاتي السيئة مع غدير؛ مما جعلني كثيرًا أتعمد مضايقتها حتى تكشف عن وجهٍ مزعج، فأقتنص الفرصة الذهبية التي تُعينني على الكتابة في أوقات عجزي الأدبي. سألت نفسي كثيرًا هل أحتاج منها إمدادي بمعاناة كي أستطيع ممارسة فعل الكتابة؟ كالعادة كان لديّ

أسباب مقنعة لكلتا الإجابتين إلا أنني كنت أفضّل الإجابة بـ"لا"، هل أنا مضطر للتفسير، أعتقد أيضًا أن الإجابة بـ"لا" هي الأنسب. أود أن أمنح نفسي قدرًا من الخصوصية، هذا ما قلته لك فسبَبتَ لي مائة دين، رغم عدم استطاعتي فهمك يا بنَ خالتي فإنك تصرُ على أن أكون أمامك ككتابٍ محفوظ، أقصد مفتوح. المهم، نرجع لموضوعنا، أعتقد أن حتى المعاناة التي تسكبها في جوفي معاناة زائفة ككل شيء منحته لي، بعد شجارٍ مكررٍ معها أدخل حجرتي، وأغلق على نفسي الباب، أتركها غارقةً في صراخها، أرسُم ما بداخلي حتى ينتهي شحن بطاريتي فأجد نفسي نائمًا، وقد تعالى صوت نفسي وحولي أوراقي المتناثرة كأنني خارج للتوّ من مباراة مصارعة مميتة.

أرى الأحداث التي كتبتها في أحلامي سيئة كانت أم حسنة، ما يعارض الواقع أنني أجد نفسي مكان أحد أفراد الرواية، أحزن حين أكون البطل، وأطير فرحًا بدور الكومبارس. ما يُحيرني فعلًا أنني دائمًا أستيقظ قُبيل النهاية، وذلك ما جعلني أستنتج أن نهاياتي كلها سيئة، وما أكّد لي صحة هذا الاستنتاج كلام والدي الروحي د. رافي الذي نصحني حين قرأ أولى رواياتي: "محتاج تقرأ كتير علشان تطور من أدوات كتابتك وكمان لازم تهتم بجودة النهاية"، هززتُ رأسي بالإيجاب. لم أكن في موضع اختيار، الرجل مشكورًا قرأ الرواية بناءً على توصية صديق مشترك وضعتني الأقدار في طريقه، فدلني على رافي الذي أصبح من أقرب الأشخاص إلى قلبي بعد فترةٍ وجيزة. حملت أوراقي، أجريت التعديلات اللازمة، التهمت مُجلداتٍ في وقتٍ قصير، عدت له، سألته الرأي فأجاب: "أفضل من الأول، لكن النهاية ما زالت سيئة".

فكرت في السبب الذي لا يجعل النهاية جيدة بقدرٍ كافٍ، وجدت إجابة قد تكون مقنعة في أول يوم أبعدتني فيه غدير عن غرفة النوم، أذكر ذلك اليوم كأنه مرّ من برهة، حين عدتُ للمنزل وجدتُ عمال معرض الأثاث ينصبون خشبهم في الغرفة الفارغة التي كنا قد تركناها لتصبح لأطفالنا الذين لن يأتوا، أجابت ببرودها المعهود: "محتاجين ننفصل،

لازم ناخد إجازة من بعض لفترة"، ثم تمتمت بكلمات لم أفهمها في البداية قبل أن أراجعها في نفسي، وأقوم بترتيبها قدر الإمكان لأجدها تتراقص في أذني كرصاص طائش "يستحسن الفترة دي تكون طويلة".

ما لم تعرفه غدير أنني تمنيت ألا تنتهي عزلتي الإجبارية أبدًا، فقد كانت العزلة وما زالت من أهم طقوسي الحياتية، فرضتها عليّ غدير في البداية قبل أن أختارها بكامل إرادتي بعد ذلك... تسألني يا محفوظ كيف لي أن أحب العزلة، وأنا جوارك معظم الوقت، سأخبرك بصدقٍ أنني أعتبرك جزءًا من نفسي، رغم كونك شخصيةً حقيقيةً لها وجود مادي، تشغل حجمًا في الفراغ، ولك كتلة حسب تعريف المادة الذي درسته في الفيزياء على ما أذكر، إلا أن وجودك بالنسبة إليّ معنوي في المقام الأول. أشعر بطمأنينة حين أكون جوارك لأني لا أحتاج إلى اتخاذ قرارات، تواجه الناس مكاني، تمنحني ثقة لا أجدها في الأوقات العادية؛ لذلك كان تلازمنا ضروريًا، ووجودك معي لا مفرّ منه، وأراهن أنك تعرف ذلك جيدًا. وربما المسئولية التي تشعر بها تجاهي هي التي دفعتك؛ لتكمل معي الطريق لنصل لنهاية تكتبها لنا جميعًا؛ لأني كما تعلم جيدًا لا أجيد كتابة النهايات. صحيح لم أخبرك بعدُ عن السبب الذي بررته للنهايات السيئة، في حقيقة الأمر يا محفوظ عجزت عن الوصول لنهاية أيّة قصة في حياتي، لديّ قدرة هائلة على التسويف والتهرُّب، بالإضافة لقدرة هائلة على إيجاد تبريرات غير مجدية حتى لا أصل إلى نقطة النهاية، حتى المرة الوحيدة التي قررت فيها أن أنهي أمرًا كان ياسر من ختمه لي.

حدث ذلك حين دفعني للاستقالة من وظيفتي بشركة المقاولات التي كنت أعمل بها محاسبًا، تذكّر يا محفوظ منذ فترةٍ قصيرةٍ أخبرتني أنه فعل ذلك بعد أن عرفته بغدير فأراد أن يقترب منها أكثر، فلم يجد بدايةً أفضل ليصنع لنفسه دورًا محوريًا في حياتها. صدق استنتاجك يا محفوظ، فمنذ أيام الجامعة وياسر يعرف مدى كراهيتي للأرقام، وأنت تعرف أن مجموعي في الثانوية العامة هو الذي دفعني لذلك الطريق،

المهم، حين عملت بعد تخرُّجي، لم أكن أعي أن الأرقام المحفورة على الأوراق تتحول لنقودٍ يحصل عليها أطراف متعددة داخل الشركة، وكأي مجال كنت أعتقد أن الخطأ وارد.

الفكرة كلها أني لا أملك حسًا تجاه الأرقام، أتخبّط حين أتعامل مع الآلة الحاسبة، أزيد صفرًا أو أنساه. لم أعتبر هذه مشكلة لكن المُراجِع الذي تسلم مني الأوراق والعهدة بعد دقائق عاد مسرعًا من مكتبه ليقول لي: "الله يخرب بيتك، هتودينا في داهية"، في الحقيقة لقد حاول إكسابي بعضًا من خبراته لكني لم أكن مستعدًا. بعدها بفترة عرض عليّ ياسر الوظيفة فوافقت على الفور، حين سألني والدك يا محفوظ عن سبب الرحيل أخبرته بأنني أكره الأرقام، الفواتير، أذونات الصرف، كل هذا كرهته مثلما كرهت غدير، لكن الفرق بينهما أنني استطعت ترك المحاسبة وهذا ما لم أقدر عليه معها. الله يرحم والدك يا محفوظ هو من ساعدني في الحصول على وظيفتي الأولى؛ لذلك حزن بشدة عندما قدمتُ استقالتي. لا لم أقدمها، سأشرح لك، أثناء تقديم الأوراق للحصول على الوظيفة عرضوا عليّ أوراقًا لكي أمضي عليها، هممتُ بالقراءة لكنهم منعوني، طلبوا توقيعي فقط لأكتشف بعد ذلك أني وقّعت على استقالتي قبل حتى أن أقدم أوراق عملي مما زاد مدى كراهيتي للوظيفة. لكن رغم ذلك الكُرْه لم أتوقف عن الذهاب، صحيح أنني لم أكن أفعل المرجوّ مني لكني كنت أحضر وأنصرف في موعدي. الشيء الوحيد الذي استطعته هو الانضباط المبالَغ فيه؛ مما جعلهم يتغاضون عن طردي خلال فترة الاختبار الأولى.

بعد الاستقالة ذهبتُ في الموعد المحدد لمقابلة ياسر في مكتبه الضخم في إحدى شركات والده، لم يكن قد جاء بعد. فحصت المكتب بعناية ثم أتى بعد ذلك دور الغرفة، ما خطر في ذهني وقتها أنني إذا قمت بكتابة رواية عمّا يحدث لي سأحتاج لوصف المكان الذي يقضي فيه ياسر ثماني ساعات من وقته اليومي حسبما كنت أعتقد. بعد ذلك عرفت أنني كنت واهمًا فهو يأتي هنا في أضيق الحدود، حاول فقط أن

يكسب لقاءنا بعض الرسمية حين دعاني لمقابلته بمقرّ العمل. في الأوقات العادية كان يأتي لي بإحدى مقاهي وسط البلد لعلمه بمدى حبي لها، أو أدعوه إلى منزلي ليتناول غداءً جيدًا من صنع غدير فيوافق دون تردد. بعد فترة زاد تردده على منزلي، في إحدى المرات جاء بصورة مفاجئة ولم أكن هناك، ضايفتهُ غدير كما أخبرتني بقهوة سادة شربها ورحل بسرعة مُتعللًا بعدم وجودي. بعد هذه الزيارة بسنتين اكتشفت الخيانة، لصقت التفاصيل جوار بعضها، اكتملت الصورة لأرى ما لم أكن أراه من قبل. أسمعك تصفني ببطءِ الفهم يا محفوظ، أعلم أن سنتين مدة طويلة جدًا لكنني أخبرك كما أخبرتك قبلا بأنني لم أتخيل أن يفعل ياسر صديقي هذا مع زوجتي التي عشقتها بجنون، لكنه للأسف فعل، وهي للأسف تجاوبت.

يسود بعض الصمت الثقيل قبل أن تقطعه يا محفوظ بطلب المزيد، أعرف جيدًا أنك لا تقولها بلسانك لكني أسمعها. سُبل التواصل بيننا لا تنقطع يا بنَ خالتي حتى ونحن في أصعب ظروفنا، المهم أين توقفنا؟ لقد أخبرتك أن ياسر عرض عليّ الوظيفة التي أريدُها، رجوته فقط أن يُبعدني عن الحسابات، ابتسم، أخرج من درج مكتبه ورقة وأعطاها لي، طلب مني ملءَ بياناتي فيها، سألته قلمًا فأخرج واحدًا من جيب الجاكيت الذي يرتديه، حدّقت بالقلم لأجده ككل شيء هنا مكتوبًا عليه اسم الشركة "الغنّام للاستيراد"، يقطع ياسر تركيزي قائلًا: "تحب مرتب أد ايه؟"، أرد: "مش هتفرق"، يسأل مجددًا: "كنت بتقبض كام في شركة المقاولات؟"، أرد مبتسمًا: "ما أنت عارف، مش كتير"، يأخذ مني الاستمارة التي أعطاها لي بعد أن أنهيها، يمضي بالموافقة، يكتب رقمًا كبيرًا فأسأله: "هو ده المرتب"، يجيب: "أيوه"، أخذت الورقة واتجهت بها للـ HR وأنا أنعت ياسر داخلي بالصديق الق. تستقبلني الموظفة بابتسامةٍ آليّةٍ قبل أن تتسع تدريجيًا حين ترى توقيع ياسر على الورقة، أشعر بفمها يكاد يتمزق من فرط الاتساع. تطلب مني الجلوس لبعض الوقت لإنهاء الإجراءات، تعبث بالكمبيوتر الموضوع أمامها لدقائق. استغل الوقت في تأمل المكان من حولي، الغرفة التي تشغلها هذه

الموظفة أفضل من غرفة رئيس السابات في الشركة السابقة، تخطف السلسلة الذهبية التي ترتديها عيني قبل أن يزوغ نظري للجزء الذي سمحت لي بلوزتها برؤيته من نهديها.

تحرك رأسها تجاهي فأسرح بنظري بعيدًا عن مرمى الهدف كما كان يفعل اللاعب في إحدى الألعاب البدائية التي حملتها من الإنترنت حين تعاملت مع الكمبيوتر للمرة الأولى. تطلب مني بياناتٍ إضافيةً فأجيبها، ما إن يَعُد نظرها للكمبيوتر حتى تعود عيناي كما كانتا. تُبدي اعتراضك يا محفوظ فأؤكد لك أن كل ما أرويه حقيقيّ، أقصد أغلبه، في الحقيقة أنني لا أذكر فعلًا مدى صحة الجزء الخاص بتلصُّصي على صدرها، هل حدث حقا أم خانتني ذاكرتي كما خانتني غدير؟ لكن هل تهمك هذه التفصيلة لهذا الحد؟ أنتظر إجابتك التي لم تأتِ بعد.

أصمت للحظات حتى أذكر ما حدث بعد ذلك، إن كنت تريد الدقة الكاملة في الحَكْي فسأصمت وأتركك تدعو ربّ المواقف ليمنحك بصيرة المعرفة لترى ماذا حدث فعلًا. هناك خيار آخر للمعرفة يا صديقي، فقط أمهلني دقائق أرتب فيها الأحداث لتبدو واقعية، تزعجك كلمة تبدو، أعرف جيدًا أنك لا تحب الحواديت، تمقت سماعها ولا تحب مؤلفيها، لكنني أخبرك الآن لأنني لم أخبرك سابقًا أننا لسنا خارج الحكاية بل نحن داخلها، ولكي أكون أكثر دقةً فهذه ليست حكاية من الأصل، هي حقيقة عشناها، وسنكملها.

بدت غدير مندهشةً في البداية، قد تكون الدهشة آتيةً من عدم إخبارها بالتطورات، فقد قدمتُ استقالتي وتسلّمت عملي لدى ياسر دون علمها حسب اعتقادي، تقبّلت الأمر بصدرٍ رحب، وطارت فرحًا حين علمت الراتب. احتضنتني فشعرتُ بدفءٍ غريبٍ عني، سألت: "هو ياسر صاحبك أوي كده؟" هززت رأسي بالإيجاب، تكمل: "ممكن يشوف لي شغل أنا كمان؟"، فأرد: "هسأله وأقولك، بس مش دلوقتي، خلينا نأجلها شوية". تطلب مني فقط أن أفاتحه في أقرب فرصة وألا أنسى كعادتي.

أبدأ مباشرة عملي الساذج، عيّنني ياسر مراقبًا عامًا على أنظمة الجودة في الشركة، يعمل تحت يدي مجموعة من الموظفين الذين يفهمون طبيعة عملهم بشدة، كل منهم يعمل كمراقب للجودة في إدارته، يرسلون لي تقارير أسبوعية بها أحدث نتائج طرق الجودة التي يتم تطبيقها، تُرفق بتلك التقارير أوراق أخرى بها توصيات قابلة للتنفيذ، كل ما أقوم بعمله جمع الأوراق ووضعها كلها في ملف واحدٍ، ثم أقوم بإرساله لمهندس الجودة المختص بمراجعة النتائج وتحديد ما يتم تنفيذه من التوصيات، بعد ذلك يرسل لي المهندس تقارير نهائية أرفقها بالأوراق الأولى قبل أن أعيدها لهم مرةً أخرى. وبما أن هذه التقارير التي أقوم بتجميعها وإرسالها من وإلى المراقبين أسبوعية، فهذا يعني أن عملي لا يتجاوز ساعتين أو ثلاثة أسبوعيًا على أقصى تقدير، لكنني أقضي بمكتبي ثماني ساعاتٍ كاملةً حسب قوانين الشركة العقيمة، ربما يكون ياسر قد وضع هذا القانون خصّيصًا لي كي يأخذ راحته مع غدير وقتما أكون محتجزًا أكتب بعض الهُراء. أعرف يا محفوظ أنه كان لزامًا عليّ أن أشكّ في الأمر حينها لكنني غفلت ذلك، وأتمنى ألّا تقول داخلك تغافلت لأنك بذلك تتهمني بمعرفة الخيانة وعدم اكتراثي بأخذ موقف قاطع مما يضعني في إطار سيئ أمامك، وأمام نفسي.

المعرفة، المعرفة يا صديقي تصبح في مثل هذه الأوقات تهمة يجب نفيها، ألمح طرفة عينك يا محفوظ، يبدو عليك عدم التصديق فما سبيلي لإقناعك؟ فمنذ عرفتُ حبي للكتابة وأنت تعتقد أن لديّ من المعرفة ما يكفيني. لو كنت أعرف حقًا، ما كنت صُدمت قبل أيام حين اكتشفت ذلك فعلا.

أعلم أنك من أثبت لي الخيانة لكن الشكوك ساورتني منذ فترة. تذكّر حين هاتفتك وطلبت مقابلتك فورًا كي نتصرف معًا، حينها ألقيت همومي كلها فوق كاهلك وكعادتك يا محفوظ استقبلتها بصدرٍ رحب، وعدتني بمعرفة الحقيقة الكاملة خلال أيام، لم تخدعني فقد وصلت

للحقيقة فعلًا وأخبرتني بها بعدها بأيام، لكنها لم تكن الكاملة على أيّة حال لأن الكمال من صفات الخالق وحده؛ وبالتالي فلا يمكن وصف أي شيء بالكامل، أعلم أن هذا ليس ما نتحدث فيه الآن، المشكلة دائمًا أن الموضوعات الفرعية تجرُّنا وراءها. النقطة الأساسية التي سألتك عنها، كيف عرفت التفاصيل الدقيقة لما يجري بين ياسر وغدير؟ أذكر نظرتك المتعجبة من سؤالي كما أذكر إجابتك الحاضرة: "مش المفروض ده اللي يهمك، المهم الخيانة". كررتُ السؤال فرددتَ: "مش دلوقتي، هتعرف في الوقت المناسب". سكتُّ وأنا على يقينٍ أن الوقت المناسب لن يأتي أبدًا، لم تترك لي وقتًا للتفكير، غيّرت الدفة لتقود الموقف قبل أن تخرج الأمور عن سيطرتك، ناولتني السماعات فوضعتها بأذني، ضغطتُ على زرّ التشغيل، تغيرت تعبيرات وجهي مائة مرة في الثانية. لمحتك تراقبني بثباتٍ وترقّبٍ كأنك تنتظر هذه اللحظات منذ زمنٍ بعيد، سمعت خلال نصف ساعة ما يكفيني لأمقتهما بقية حياتي. قبل سماع هذه التسجيلات كان لديَّ أمل ضئيل أن يكون كل ما يدور داخلي مجرد شكوك، قطعت اضطرابي متسائلًا عمّا يمكنني فعله الآن، أسألك النهاية يا محفوظ لأن هناك موجاتٍ ضبابيّةً تسيطر على مجال رؤيتي تجعلني عاجزًا عن اتخاذِ قراراتٍ مصيرية. تتجاهل تخبُّطي الواضح وترد ببرود: "يفصلنا عن النهاية وقت قصير جدًّا"، قلتها يا بنَ خالتي كأنك رأيتَ ما يحدث لنا الآن.

نقلتُ التسجيلات التي لم أعرف من أين حصلتَ عليها لموبايلي ثم مسحتها من ذاكرة هاتفك، ووَدِدتُ أيضًا محوها من ذاكرتك لكن ذلك من المستحيلات. سمعتها كثيرًا لدرجة الحفظ، نقلتها إلى اللاب توب وشغّلتها أثناء كتابتي للرواية، لاحظتُ نتائج استغربتها في البداية، أعانتني على إنجازِ قدرٍ هائلٍ من القصة خلال أيام، لم أنَم خلال تلك المدة، تبقّت لي النهاية فحسب. اتصلت بك يا محفوظ وبدلًا من أن نذهب للناشر الذي ينتظر جزءًا من الرواية الجديدة التقينا في مكاننا المفضل عند جبل المقطم. تذكّر الحديث الذي دار بيننا، استعدنا معًا أيام المراهقة حين كانت غرائزنا تسيطر علينا قبل أن أتحرر وحدي

منها، تحكي لي عن تجربتك الأخيرة مع مطلقة تحت الثلاثين عامًا تُدعى هَنَا. تتعجب من ذلك النوع من النساء الذي يسعى لخراب بيته ليتحرر من المسئوليات كافة ثم تبحث عمَّن يُشبع رغباتها، تتحدث وترد على نفسك يا محفوظ قبل أن تختم حديثك بجملة "نسوان وسخة"، أحاول التدخل في الحديث فتتجاهلني. أعرف جيدًا أنك لا تحكي لي عن تفاصيل أية علاقة ما زالت مستمرة؛ أي أن هنا هذه أصبحت جزءًا من الماضي ولديك الآن قصة جديدة.

عمومًا لقد ضقت بالحكي الذي لم يُكسبني سوى الخيانة، تخرج من السيارة وتجلس على مقدمتها فأقلدك أنا الآخر وأترك كرسي السائق، لكنني لا أجلس مثلك بل أتقدم نحو الحافة وأتمنى أن أكتسب الشجاعة التي تُمكِّنني من اتخاذ قرار الانتحار رغم علمي أنني أجبَن من أن أفعل ذلك. أسألك يا محفوظ عن الخائنة فترد: "تقصد غدير"، فأقول: "هو فيه غيرها، صحيح هو يعني إيه غدير"، أسترسل ولا أترك لك فرصةً للإجابة إلا بعد أن أنهي ما بجوفي ثم أتركك وأنسى أخذ حقيبتي، أتوه وسط اضطرابات رأسي، أسألك النهاية فلا تجيبني، أعلم يقينًا أنك لن تخبرني ما يريحني أبدًا ومع ذلك أنتظر منك كلام الخلاص الذي لن يأتي.

لديَّ قناعة بوجود ما يُسمَّى بلحظات الكشف، الكشف يا محفوظ وليس الاكتشاف، بمفردي لن اكتشف شيئًا، دائمًا أحتاج مَن ينير لي بصيرتي لأمشي في طريق سلكه غيري من قبل، أحب الخيارات التي استخدمها آخرون قبلي لأوفر على نفسي المفاجآت التي لاحقتني رغمًا عني. لم أكُن أتوقع يومًا أن تنقلب حياتي رأسًا على عقب، أن أكون ذلك الزوج المخدوع الذي استباح آخرون زوجته، تلك الحوادث التي قرأتها فقط للتسلية على صفحات الجرائد أصبحت جزءًا منها. أمهلني ثانيةً واحدةً لأستعيد ما قلت، "آخرون"، يبدو أنني أتوقع أن يكون هناك أكثر من ياسر في حياة غدير، بشكلٍ عامٍ أتوقع أن مَن تخون مرةً يمكنها أن تخون مائة مرة، هذا دائمًا ما يدَّعيه الكُتَّاب في قصصهم.

على سيرة القصص يا محفوظ أود سؤالك، هل تعرف أكثر ما يزعجني في هذه الرواية؟ لن ترد بشيء مفيد كعادتك وتوفيرًا للوقت سأخبرك، عانيتُ كثيرًا حتى حصلت على غدير فأصبحت زوجتي، أما ياسر فأنا متأكد أنه لم يُعانِ مثلي للحصول عليها. لم يسكب شيئًا من روحه داخلها بل منحها احتياجاتها المادية، برأيك من يتحمل وزر الخيانة الأكبر، غدير أم ياسر أم آخرون لا أعرفهم؟ في الظروف العادية كنت ستجيبني بـ"طبعًا أنت"، لكنني أذكّرك يا محفوظ أننا الآن بظروفٍ غير عادية، يأخذني الحديث وتتولد الموضوعات من داخل بعضها البعض لكن يظل محور الكلام عن حياتي. بمعنى أدق كلما تحدثت عن شيء أتذكر جزءًا من الحقيقة التي رفضت رؤيتها لفترة من الزمن. لا لم أرفض الرؤية، إن ما حدث بالضبط هو عدم قدرتي على ترتيب الصورة لرؤيتها كاملة، أما أنت يا محفوظ فلديك من الخبرة الحياتية ما يمنحك القدرة على استيعاب الصورة.

في حقيقة الأمر أن ما لديك من معرفة لا يجعلك ترى الصورة فقط، بل يعطيك القدرة على رسمها لتبدو واقعيّةً للناظرين. في الظروف العادية كنت ستحدق بي بعد سماعك هذه الجملة لكنني أكرر لك أننا بظروفٍ حرجةٍ كتلك التي تمرُّ مصر بمثلها دائمًا. عمومًا السياسة ليست مجال حديثنا الآن كما أعتقد أن الوقت المتاح لنا لاستكمال الحوار أقل من الوقت المسموح به لضيوف برامج التوك شو. أضف لذلك أن الاستديوهات المستخدمة للتصوير عادةً ما تكون جذابةً أكثر من ذلك المكان الذي يحتوينا الآن، والذي لا يصلح للاستخدام الآدميّ.

أعتذر عن تلك المداخلة التي لا داعي لها، لكنني رأيت أن أكسر هذا الجو الرتيب بالخروج قليلًا عن موضوعنا، لقد اكتشفت شيئًا يا محفوظ، هذه المرة أنا المكتشف إن كنت قوي الملاحظة ومتابعًا جيدًا لما أقول. المهم دعني أخبرك باستنتاجي؛ الدقيقة هي الدقيقة في كل وقت، إحساسنا بها فقط هو محور الاختلاف، الآن مثلًا اللحظات ثقيلة كئيبة عكس أيامي الأولى مع غدير التي كانت تمرُّ من دون أن أشعر

بها، وأكاد أجزم أن ياسر كان له مثل شعوري، أما غدير فلا أعرف حقيقة إحساسها، لم أكن أقدر أصلًا على معرفة ما يدور برأسها حتى لو حدقت بها لسنوات؛ فلديها قدرة هائلة على إخفاء ما تشعر به وإظهار عكسه تمامًا مهما بلغت صعوبة الموقف الذي تمرُّ به.

تخيَّل أن تلك الفتاة التي حسبتُها لا تستخدم الحمَّام كسائر البشر، بل كنت أكثر تشددًا واعتقدت أنها تشعُّ نورًا وتملك روحًا ملائكية لم تكُن أكثر من أنثى تقبل الـ Share على أكثر من ذكر. أحيانًا أتساءل هل كنت ساذجًا لتلك الدرجة؟ أم أن حبها قيَّد تفكيري وجعلني لا أفكر في أي شيء عداها؟ في كلتا الحالتين لم أكن ذلك الرجل الذي يستحق أن تخونه زوجته لتضعه في خانةِ مُشينةٍ أمام مجتمعٍ لا يرحم. أشعر باستهانتك لما أقوله يا صديقي، كما أعلم جيدًا مدى كرهك لأي شخص يهتم بآراء الآخرين ويضعها نُصب عينيه كمقامٍ أول في حياته ليرتب عليها تصرفاته كافة، لكني للأسف من هذه النوعية التي تمقتها، ولا يوجد لديَّ أدنى استعداد للتغيُّر لأصبح أفضل من وجهة نظرك. فقد قرأت قبل مدة أن الإنسان يحتاج إلى نفس الفترة التي اكتسب فيها عاداتٍ معينةً للتخلص منها، فما بالك بتلك الصفات التي لازمتني منذ الطفولة كالتردد والقلق وضعف الشخصية، كم أريد من الوقت للتخلص منها! أسكت وأضحك رغمًا عني قبل أن أسأل، وكم أحتاج للتخلص منك يا محفوظ؟ تمتزج الضحكات بألمٍ داخليٍّ لتبدأ في الخفوت حتى يسود الصمت.

أبتلع ريقي الممزوج بدموع انسابت رغمًا عني، أحاول السيطرة عليها فتزيد لتتعامل معي بمنطق كل شيء حاولت منعه في حياتي، أشياء كثيرة حاولت وضعها تحت سيطرتي فانقلبت عليَّ، وعلى فكرة أنت أوَّلها يا محفوظ. دعني أخبرك بالبداية، قد أكون قصصت عليك الحكاية ذاتها مائة مرة، ولكن باعتباري شخصًا مُملًا دعني أقصُّها للمرة المائة وواحد، النقطة الوحيدة الإيجابية هذه المرة تتمثل في قدرتي على الاستطراد دون توقف، دون مقاطعة، ودون أن أشعر بكآبة

الذكريات لأننا نواجه الآن ما هو أسوأ.

نشأت في عائلة مستقرة حتى جاء ذلك اليوم الذي ارتفعت فيه درجة حرارتي لتصل لحد غير مسبوق كأنها تدق إنذارًا بسوء الساعات القادمة، أعلن الطبيب للأهل أصابتي بالحمى، حينها كنت في السابعة من عمري، ولأن ذلك اليوم كان مميزًا لن أنساه أبدًا وكيف لي أن يُمحى من ذاكرتي يوم زواج خالتي يا بنَ خالتي.

رغم أن هذا لم يكن الحدَث الأكثر أهمية في ذلك اليوم فإنني أعرف مدى تقديرك لليوم الذي بدأت فيه تهيئة مجيئك لهذا العالم المشتت، ما علينا دعني أكمل حتى أنتهي قبل الوقت المحدد الذي لا أستطيع تقديره الآن. طلبت أمي من جارتنا العناية بي حتى تعود وأبي من الفرح، ويبدو أن والدتي كانت متفائلةً أكثر من اللازم لأنها لم تعُد حتى الآن.

أذكر كل ما حدث بعد ذلك كأنه كان بالأمس القريب، بكاء وعويل لأيام ثم صمت ثقيل قبل أن تثبت لي الأيام أنها لا تتوقف لأجل أيّ شخصٍ مهما كان محوريًا في الحياة. ربّتني أمك يا محفوظ واهتمت بي إكرامًا لأختها التي حضرت فرحها رغم مرض ابنها، بعد ذلك أصبحت ابنها البِكْري وضَرّتي اللدود في اقتسام رعايتها، مرت الأيام واستمرت معها رحلتي، أيام الدراسة كنت أمكث في بيتكم أما الإجازة ففي منزل جدي، اقتربت منك وبحكم السن كنت أشعر أنك مسئول مني إلى أن انقلبت الآية وأصبحت تابعك يا محفوظ لتستغل ذلك حتى الآن. أسكت لوهلةٍ قبل أن أكمل، تعلم جيدًا يا بنَ خالتي أن تفاصيل القصة كثيرة ومتشابكة، والعقل أمسى مهترئًا لا يقوَى على الترتيب. كبرنا قبل الأوان يا محفوظ ويبدو أننا نمرُ بأزمة منتصف العمر أو آخره، لست أدري ما ينبغي عليّ قوله بالتحديد في تلك اللحظات الدقيقة.

أحيانًا أعجز عن الكلام، بمعنى أصح أعجز عن قول ما أريد، يخون التعبير لساني كما خانتني غدير، منذ عرفت الخيانة أصبحت أكرر لك

maktabah.blogspot.com

هذه الجملة دائمًا يا محفوظ لكونها المسيطرة على عقلي. المهم دعنا نكمل، مع الوقت انشطرت شخصيتي قسمين؛ إحداهما تظهر خلال كتابتي، والأخرى تختبئ خلفك لتداري ضعفها المطلق، حمتني سطوتك من إهاناتٍ كثيرةٍ وعرضتني لاهتزازاتٍ أكثر أمام نفسي. أشبعت داخلك رغبة السيطرة على من هو أكبر منك سنًا لأقف أمامك عاجزًا عن أي تصرف، اعتدت السلبية لوجودك الدائم في حياتي، ولوجود غدير أيضًا، على فكرة غدير تشبهك لحد التطابق لهذا اخترتها.

دعني أعترف لك، أنا لا أتعلم من أخطائي السابقة، أتعامل مع الدنيا كغريبٍ ليس عليه حرج، زائرٍ يسجل لقطاتٍ في ذاكرته ليختزلها بعد ذلك بأوراقه، المثير للدهشة أن ياسر تعامل معي بالمنطق نفسه ليجردني من أي غرض يجعلني متمسكًا بالحياة ليزداد الاغتراب وتتصاعد المعاناة. كنت دائمًا أتساءل عن فائدة المعرفة طالما لا تقتل بها وساوسك التي تتسبب في ازدياد مأساتك، فقد كان لديّ قناعة دائمة أن العلم يمنحك اليقين الذي يجعلك تواجه مخاوفك مهما كانت شراستها، إلا أن ثوابتي كلها كانت محض خرافةٍ على ما يبدو، وبالتبعية ومع تلك الانهيارات المتلاحقة كان منطقيًا أن تنقلب الحياة رأسًا على عقب؛ لأسلم بعد ذلك بأنه لا يقينَ بهذه الحياة.

يتملكني التعبُ فأتوقف عن الحكي، أمام عيني تمرُّ اللحظات السابقة لأبدأ في استيعاب ما حدث، ما زال اللون الأسود يسيطر على كل ما حولي. تعلم جيدًا يا محفوظ أنني أكره العتمة ومع ذلك لم تفعل شيئًا، وأعرف أنك ترد داخلك قائلًا: "ما أنت عشت أكتر من نُص حياتك فيها"، لكن دعني أخبرك أنني لم أغد أطيق الظُلمة يا صديقي، فقد سئمتها كما سئمت أشياء كثيرة أولها غدير. أعود لصمتي اللحظي مجددًا قبل أن أسألك، تعرف الفرق بيني وبينك يا بنَ خالتي؟ لن أنتظر ردك، أتابع، الفارق أنك لا تبكي بعد اقترافك الذنوب، لم أزل منهارًا حتى في أحلك لحظات حياتك، تذكُر ذات مرةٍ حين سألتك عن فتاةٍ قاومت طيشك فرددت عليَّ مستهزئًا: "أنت مجنون يا بني، متخلقتش

لسُه، واللي تقاوم محفوظ، عِدْتها تبوظ!. حينها لعنتك في سري وتمنيت لك نهاية سيئة كالتي نالتها الفتاة حين اكتشف أهلها خطيئتها، وقتها توقعت أن أرى دموعك لكنك خيّبت ظني كالمعتاد يا بنَ خالتي ولم تُبدِ انفعالًا يُذكر، هَنَا، يارا، سلمى، دعاء، وغيرها من الأسماء التي مرت مرور الكرام عليك يا محفوظ، تختلف الفتيات وتتشابه الظروف، منهن مَن تعرضت لقهر الأهل وأخرى لقهر الزوج وغيرها لقهر المجتمع، تعددت الأسماء والقهر واحد، لعن اللهُ أمثالك ممّن يستغلون الظروف لتحقيق مكاسب على جثث الآخرين.

أتمنى منك أن تسامحنى لو جرحت كلماتي شعورك، كما آمُل أن يُهادنني الوقت لنكمل كلامنا قبل وقوع أي طارئ، يكفينا ما جرى في السابق، وأتمنى ألا يحدث ما هو أسوأ، وإن كنت أتوقع أن بشائر الخراب بدأت وستستمر حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولا.

الحكمة، الحكمة التي تعطيك القدرة لتقدير الأمور تمنحك الشقاء أيضًا، تفتح داخلك آفاق الاحتمالات كلها لتتوه داخلها فتخرج من دائرتها خالي الوفاض رغم امتلاك المعرفة، تشغلني دائمًا فرضية الوصول للكمال المعلوماتي عند لحظةٍ غير معروفة، فتظل تتلقى العلم، تسأل، تتكلم، تستنتج، تصل لإجابات، تستمر في رحلة البحث حتى بلوغ خط النهاية الذي لن يأتي أبدًا. حينها تصبح لديك إمكانية الحكم على الأشياء، ولثقتي الشديدة بك اتخذتك معلمي وعَزَابي في طريق البحث عن المعرفة، تمنيت أن نصل ولم نفعل، أنهكتنا الطرق الفرعية في رحلاتِ بحثٍ لا متناهيةٍ فانشغلنا عن المسار الأصلي، أعرف أنك ستخبرني أن الإفادة في الرحلة وليست في الوصول للنهاية، لكن دعني أسأل عن فائدة المشي معصوب العينين في طريقٍ مُلتوٍ يا بنَ الخالة.

أعرتني حواسك لتجاوز الانحرافات فكانت معرفتي وقتية، صدقني لم أكن أشعر بوجود مشكلة طالما الحياة مستمرة، الآن فقط تمنيت الاستفادة الحقيقية لعبور الزمن والوصول بأمانٍ لحدثٍ قادم، تشغلني ماهية المستقبل، حسبت نفسي أخذت قدري من السوء فأثبتت الأيام

خطأ فرضي، حين أضاء العقل بنور الحكمة تمنيت الموت، فالخيانة ليست هيّنة يا محفوظ. أتعجّب للهدوء الذي أصابني حين أخبرتني بكل ما دار دون علمي، أتذكّر جيدًا نظرتك القاسية التي رميتني بها وكأنني تعمدت إسقاط غدير في وحل ياسر، لكن دعني أخبرك أنها من ألقت بنفسها في حياته؛ بمعنًى أدقّ ولكي أكون شبه منصف، لقد تواطآ على الخيانة لإفساد بقايا روحي.

لا أعلم لماذا ترتبط الحكمة بالهدوء؟ أراك حكيمًا يا محفوظ رغم عنفك المفرط في أغلب الأحيان، ولا أعلم لماذا ترتبط الصورة الراسخة داخلنا للحكيم برجلٍ عجوزٍ أعمى يرتدي جلبابًا أبيض ويتوكأ على عصاته؟! مع أنك مختلف تمامًا عن تلك الهيئة إلا أني أراك تصلح لهذا الدور بامتياز؛ لذا اتّبعتُك دون تردّدٍ وسعيت للبقاء جانبك أطولَ فترةٍ ممكنة.

أضف لكل الأسباب التي أخبرتك بها قبلًا سببًا أكثر أهمية، أنت أحد أهم مصادر إلهامي، كَمْ من حكايةٍ أخبرتني بها نقلتها للأوراق دون أي تغيير، بعد أن أكتب ما تمدني به أعطيه لرافي ليعطيَني رأيه كالمعتاد، يسألني عن إمكانية حدوث ما أكتبه على أرض الواقع فأجيبه بالنفي، ثم أسحب قدرًا من الهواء يكفي رئتي للعيش وأكمل: "الإبداع يتخطى الواقع بكثير يا دكتور، نحن نتأثر بما نقرؤه ونراه ونحاول تطبيقه في عالمنا". ولم أخبره يومًا أن كل ما أكتبه من واقعك المقزز يا صديقي، وحين سألني رافي عن سبب استمرار النهايات السيئة التي لا تناسب الجودة التي بدأ بها العمل الأدبي سكتُّ. أخبرتك بملاحظته فعلقت ضاحكًا أن العيب في أسلوبي وليس فيما تقصُّه لي، لم أبدِ اعتراضًا يذكر وقتها وإن انتابني ضيق داخلي لسخريتك من الشيء الوحيد الذي يشجعني على الصمود أمام هذه الحياة؛ الكتابة هي ما ستبقى بعد زوالنا يا محفوظ، أراهن على بقائي بعد الرحيل المادي، بينما أنتم تدورون في ثنايا العدم سيظل اسمي محفورًا على الكتب، حتى وإن كانت هذه الكتب ملقاةً على أرفف يأكلها التراب لا قارئ لها، إلا أنني

تذكر انك حملت هذا الكتاب من مكتبة بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com

متأكد أنها ستجد من يهتم بها في وقت ما. إن وصفت أفكاري بالعقيمة سأبلغك بتقديري الكامل لها مهما بلغت درجة امتعاضك، رويدًا رويدًا سأتحرر منك، منها، منكم جميعًا غير عابئٍ كم يستغرق ذلك بقدر أهمية اقتراب النهاية على غير المعتاد. ولتسريع الوتيرة سأعلمك بأشياء أزعم أنك تجهلها، لاحظ أنني فعلت مثلك تمامًا وأصبحت أتكلم حين أتأكد من عدم وصول كلامي لأذنك، التي قلّما اهتمت بسماع صوتي يا صديق.

بالأمس عزمت على الانتحار وإن حيّرتني الطريقة، تمنيت نهايةً غير مؤلمة فلم أجد لها سبيلًا، تخيلتكم جميعًا بعد وفاتي فرأيتكم غير مكترثين فعدلت عن الفكرة، الأفضل أن أظلّ هنا ربما يأتي اليوم الذي أجذب فيه انتباهكم، حينها ستكون النهاية لا محالة.

أمر آخر أود أخبارك به وأعتقد أنني أخبرتك به قبلًا، في الحقيقة هو قرار اتخذته وأتمنى ألا أسمع تعليقك عليه، أنا سأنسى كل فعلات غدير المشينة إن كانت راغبة في طيّ صفحات الألم والبدء من جديد. البدء بشكل مختلف ليس كما تخيلت سابقًا، هل تعرف الفارق يا صديقي؟ سابقًا كنت سأسامحها إذا تركت ياسر وعادت إلى زوجها وبيتها، أما الآن وفي هذه اللحظة بالتحديد أتمنى أن تقبل فقط أن تجعلني أتشارك فيها أنا وياسر في مقابل الاحتفاظ بوظيفتي التي تدرُّ عليّ عائدًا مناسبًا، ما رأيك في هذا الكلام؟ الأهم من رأيك رأيها هي، هل هي مستعدة لذلك؟ تتخبّط داخلي الخواطر بين رغبةٍ في الانتقام وأملٍ في الصفح، تدور حولي المتناقضات كافةً لتضيء سواد المكان فلا أعرف ماذا أريد كالعادة، أسمع وقْع سيارة تقترب فأتقبّل التحذير. تقف السيارة وأتخيل الشخصية التي تترجّل منها، دقيقتان على الأكثر ونلتقي ثانية، أسكت حتى يعم الهدوء فلا يبقى إلا صوت خفيف من أثر حركة الفئران حولنا. طالما حذرتني يا محفوظ من كائنات العنف الليلية فتمنيت أن تنتهي حياتي من دون مقابلتها، فلم يتحقق لي ما أردت والتقيت بها رغمًا عني لأشعر أنني في عالمٍ موازٍ، له أعرافه

تذكر انك حملت هذا الكتاب من مكتبة بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com

المختلفة وقوانينه الظالمة التي لا ترحم أمثالي ممن يتخبطون في وَضَح النهار لا في الظلام الدامس. عندما قابلت ذلك الشخص الغامض الذي زجَّ بي هنا كان لديَّ يقينٌ أن خلاصي على يدك قبل أن أكتشف أنك مثلي تمامًا يا بنَ خالتي. شيء أخير سأخبرك به لتصبح على علم بالأسرار كافة، أنا أهم أسباب وقوع غدير في خطيئة الخيانة، استمتعتُ برؤيتها غير قادرةٍ على التصرف، وعندما أحست أنها أصبحت لعبة غير مسلية بين يديَّ قررت أن تلعب معي لكن وفق قوانينها الخاصة هذه المرة فخانت غيرَ آسفةٍ عليَّ.

تسألني كيف كنت السبب الرئيس للخيانة فأخبرك أني زوج متقاعد منذ أن بدأت أكتب، عاجز عن أداء تلك المهام التي تتقنها يا محفوظ، فهمت لماذا كنتُ دافعًا لتسلك طريقًا مُشينًا؟ تقترب الأقدام من الباب، أستعدُّ للقاءٍ غير معلوم العواقب، أفتش عن ذهنٍ صافٍ يُعينني على مواجهة الموقف، تظل كلمة عاجز تتردد داخلي لتُحدث زَنَّةً سخيفةً داخل العقل ولا أجد سبيلًا للتخلص منها، فأطلق سراحها على لساني لتخرج بقوة ليُنثر صداها في الهواء، مع ارتفاع وَقْع الأقدام أنطقها بوهنٍ للمرة الأخيرة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك يا محفوظ.

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية

والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

أحمد محفوظ

أنظر للموبايل فأجد ثلاث دقائق متبقية على الموعد، أنزل من السيارة لاعنًا سلبية صاحبها. أخرج السيجارة الأخيرة من العلبة، أتردد في إشعالها، لا أملك في جيبي ثمن العلبة الجديدة، أطمئن نفسي بالحصول على المال خلال دقائق فأتذكّر عدم إمكانية صرف قرش واحد منه، أردد: "هتفرّج". يرن الموبايل، أكنسِل نجوان حتى أتفرغ للمَهمّة المعتادة. أحسّس على جيبي لأجد الفلاشة مستقرة في مكانها، أضحك: "هتفرج يا محفوظ، والفلوس هتيجي لما تعوز"، يظهر خالد الشيخ من الفراغ، يرفع الحقيبة ويطلب مني مراجعة المبلغ، أرد: "كان زمان، دلوقتي أنا تِيم ليدَر أدَ الدنيا". ألتقط الشنطة، أضعها على الكنبة جوار حقيبة عليّ، أركب السيارة، أدير مفتاحها وأضغط على دواساتها الثقيلة بقوة فتتحرك محدثةً صوتًا مزعجًا. يودعني الشيخ بجملته المعتادة: "خد بالك دي فلوس ناس"، قبل ذلك كنت أقول بصوتٍ عالٍ: "متقلقلش مش هاخد بالي"، لكني الآن أكتفي بإخراج يدي من شباك السيارة والتلويح بالنفي. أنقل الحقيبة إلى جواري، أضع الأرقام السرية المعتادة، أفتحها، أشعر بالشَبَع حين أرى رُزَم النقود متراصّة جوار بعضها بعضًا، الشعور نفسه يتجدد حين أرى الأنثى عاريةً أمامي، الطعام والشراب، تغذية العين أمر يغفله الكثير من الحمقى. أفيق على سِبَاب سائق مجاور، أفكر في النزول للتشاجر معه إلا أني أتراجع خوفًا على الحقيبة. أتذكّر ما فعلته سابقًا للحصول على حقيبةٍ مماثلة، كان الأمر مشابهًا لما يحدث الآن إلا أن ضحيتي كان ساذَجًا رغم محاولاته للظهور بخلاف ذلك.

نزل مستعرضًا قوته على سائق الـ 128 الذي توقف أمامه فجأةً دون سبب، في اللحظة نفسها وقف الموتوسيكل جوار السيارة، التقطت كساحرٍ حقيبة الساذَج المنشغل بذلك الحادث المفتعل وتحركت غيرَ مكترثٍ بما يحدث. بعد هذه الحادثة بساعةٍ على القهوة القابعة تحت الكوبري، يعيد لي سعد السيارة ويحصل على خمسمائة جنيه، أفتح

الحقيبة لأجدها فارغة إلا من بعض الأوراق ولاب توب، ألقي بالأوراق جانبًا وأفتح اللاب توب باحثًا عن شيء محدد، صور، تسجيل، ڤيديو، أي دليل على علاقتهما ببعض. بحثت كثيرًا ولم أجد، أظهرت الملفات المخفية، أرجعت الملفات المحذوفة، كل هذا بلا فائدة. أغلقت اللاب توب، لعنت سعد الذي حصل على المال من دون فائدة تُذكر، أعاود فتحه، أسال صبي القهوة عن باسورد الواي فاي، أفتح الإنترنت، أبتسم. أكوِنت الفيس بوك مفتوح، أراجع الرسائل بينه وبين غدير فأجد أدلةً أكثرَ مما أحتاج، وتفاصيلَ أكثر مما أعرف، وتطورات غير متوقعة. وسط كل هذه الحوارات أجد مرفقات مهمة، بعض الصور لهما معًا، تسجيلات صوتية. المفاجأة الأكبر ڤيديو يجمعهما وهما يحتفلان بعيد ميلاد ياسر.. كم أنت جميلة أيتها التكنولوجيا السافلة، هذه الأدلة ظهرت في رسائلهما الأخيرة، بحكم خبرتي في هذا المجال، فإن مثل هذه الأشياء السابق ذكرها لا تظهر إلا للابتزاز ليس أكثر؛ لأن غدير كما أحسب الطرف الأضعف فهي الشخص الخاضع للمساومة، ولأني لست ملاكًا كان عليّ أن أتصرف بالشكل الأمثل، من وجهة نظري.

تتصل نجوان فلا أرد، أعتقد أنها جمعت المبلغ الذي طلبته منها وترغب في تسليمي إيّاه للتخلص مني، لو أعطتني منذ البداية لما كنت أريها ما صورته. فعلًا معظم فتياتي لم يرين ما صُوِّر لهن، كنت أطلب المال لحجج واهية أتعجب ممن يصدقنها. عمومًا أتمنى أن تزيد المغفلات حتى يزيد الرزق، رغم أنهن يمنحنها لي بإرادتهن الحرة، ليس كلهن، أتحدث عن الأغلبية العظمى. لكن الأمر المؤسف أن الفلوس التي أحصل عليها منهن تطير كما لو كانت حرامًا. لا بُدَّ من ترشيد النفقات حتى أحقق فائضًا في موازنتي العامة؛ لأتمكن على الأقل من شراء علبة سجائر في الوقت الذي أريده. أضحك على أسلوبي الذي اقتبسته فجأةً من وزراء مالية، بشكلٍ عامٍّ عليّ الاستفادة في المرات القادمة وطلب مبالغ أكبر من ضحياتي الآتيات.

لماذا يستيقظ الضمير ثانية؟ أكاد أجزم أنه يَأن في غير أوقاته،

اعتبرته جزءًا زائدًا عن الحاجة ولم أسمع له أبدًا حتى سكت بمفرده ويَئِس من تغييري. لكن حين فكرت في غدير كأنثى يجب وضع اسمها في دفتر زياراتي صرخ معترضًا. يبدو أن عليّ أعز عندي مما كنت أتوقع، المشكلة أن حظك العاثر أوقع أنثاك في يدي كما أوقعها في يدَيْ من قبلي. اعتقدت أني حسمت أمري فظل الألم يصيب جانبي الأيمن -مكان الضمير كما أظن- لعدةِ ساعاتٍ قبل أن يسكت مرةً أخرى بعد أن يَئِس من صاحبه، الذي لم يتعلم أبدًا التفكير في أموره من زوايا عديدة وحسب الحياة مفصلةً على مقاسه. هذه هي الحقيقة التي أنكرها ويتهرب منها عقلي للأسف. في اليوم التالي لتلك الحادثة فتحت اللاب توب ثانية، حاولت تكرار ما فعلته أمس على أي حسابات يملكها ياسر على أي مواقع تواصل اجتماعي، إلا أني وجدت كل شيء مغلقًا حتى الفيس بوك، فحمدت الله على أن ذلك حدث بعد أن أخذت نسخةً من المحادثات والصور والتسجيلات. كنت أسرع تصرفًا من ذلك الساذَج الذي تعلقت به غدير، وسأظل أكثر وعيًا بالدنيا من عليّ، وسأجعل ضرباتي أكثر تأثيرًا لملايين الفتيات اللاتي ينتظرن محفوظًا؛ ليعطينه ما يستحق من هذه الدنيا الأشبه ببرامج المسابقات.

"تعال استلم الفلوس" تأتيني الرسالة من نجوان فيزداد يقيني أني شخص لا يستطيع أحد التغلب عليه، أضحك، "من حقك تفخر بنفسك يا محفوظ" أقولها بصوتٍ عالٍ، أتحرك بالسيارة تجاه ڤيلّا نجوان بالتجمع الخامس لأحصل على ما أستحق.

رغم معرفتي بمواعيد عمل عليّ فإنني كلمته لأتأكد من وجوده بمكتبه، أخذت أحدثه بمواضيع تافهة حتى شعر بالضيق، أغلقت الخط بعد الاتفاق على زيارته مساء، أخذت الموتوسيكل وتحركت تجاه منزله، تأكدت من عدم وجود البواب على دِكّته التي تسبب جلوسه الدائم عليها في تضخُّم مؤخَّرته، من المؤكد أنه تحرك رغمًا عنه لشراء بعض الأغراض لعجوزٍ لَحوح في الدور الأخير، أصابتها الوحدة بالضيق فقررت الونس بالنداء عليه كل لحظةٍ وأخرى. تمنيت التراجع وأنا

أصعد السُلّم، أخرجت موبايلي ونظرت إلى صورهما معًا، أمعنت النظر في وجه غدير فوجدتها فرصة سهلة لا تستحق الترك، أصدقاء العمل يصفونني بالقناص؛ لذا عليّ ألّا أتخلى عن هذا اللقب الذي كلفني كثيرًا من الجهد حتى حصلت عليه، يقول جانبي الأيمن "ولا حتى علشان خاطر عليّ"، أكمل طريقي وأقول متمثلًا القادة: "أنا بعمل كدا علشان خاطر علي".

يلزمني نصف ساعة تقريبًا للوصول لمنزل نجوان، فكرت في التراجع والعودة للبيت قبل الذهاب إليها لأكثر من سبب. لا بُدَّ أولًا من وضع الحقيبة في مكانٍ آمن. أيضًا أحتاج لشحن الموبايل الذي فصل تمامًا، ألعن السيارة وسلبية صاحبها الذي ترك سيارته دون شاحن. بمنتهى الأمانة غدير كان معها حق حين اتجهت لياسر كبديل، لو كنت مكانها لقمت بمثل تصرفها تمامًا. فكيف لشخصٍ بالغٍ راشدٍ أن يترك سيارته دون شاحن.

أخرج اللبانة من فمي وأضعها لتَحول دون الرؤية من العين السحرية، أرنُّ الجرس، أسمع خطواتها الرشيقة تقترب لتفتح الباب، ترتفع أفق توقعاتي للسماء وأتعشّم بوقتٍ لن يُنسى، تفتح بعد أن تفشل في رؤية الزائر، لا تتفاجأ برؤيتي، تقول ببرود: "ابن خالتك مش هنا"، ألحقها قبل أن تشرع في إغلاق الباب، "عايزك في حوار"، أدخل، أجلس في مكاني المفضل، بشكلٍ عامٍ أختاره لكونه كاشفًا معظم المكان الذي أجلس فيه، يظهر عليها الضيق من قدومي، قصدت أن تريني ذلك حتى لا أكرر زيارتي الكريمة ثانية. تطلب مني الحديث بسرعةٍ لارتباطها بموعد، اختصارًا للوقت أخرج الموبايل من جيبي، أريها كنزي الصغير الذي وجدته على لاب توب ياسر ثم أقول لها: "إحنا في زمن التسريبات"، ترى كل ما لديّ بثبات تُحسد عليه، بخبرتي الكبيرة في قراءة الوجوه أعجز عن معرفة ما يدور داخلها، أتحرك لأجلس جانبها فتقوم من مكانها وتسألني: "المطلوب؟".

القرار الذي اتخذته أخيرًا الذهاب لنجوان مباشرةً دون الذهاب للمنزل

أولًا، بصراحة خسارة تضييع الوقت، لن أبقى عندها طويلًا، كلها دقائق أتسلم فيها نقودي وأغادر، أما بالنسبة إلى الحقيبة فلن يحدث لها شيء وسأخفيها هنا أسفل الكرسي.

"أنتِ اللي تحددي المطلوب مني، عايزاني أقول لعلي ولا لأ"، ترد: "زي ما تحب، في الحالتين مش هخسر كتير"، ولأن ردها لم أتوقعه سكتُّ، تحركت ناحية الباب، وقالت منهية الحوار: "قرر وأنت مروَّح وعمومًا نتيجة قرارك هتوصلني". غادرت مكاني، قبل الخروج عرضت عليها أن أترك لها ما لديَّ وأنسى كل شيء مقابل أن تقدم لي ما قدمته لياسر، قبل أن آتي ومنذ أن بدأت الفكرة تحتل مكانها برأسي كان أكثر ما يهمني هو رؤية رد فعلها حين ألقي عليها بطلبي؛ ولذلك لم يكن رفض الطلب ما ضايقني بقدر ضيقي من رؤية وجهها جامدًا دون تعبيرات، أخرج طالبًا منها ألا تحزن مما سأفعله فتعلق مستهزئة "وأنت كمان متزعلش لما أقول لعلي على زيارتك"، أحاول التمسك بثباتٍ زائف، أردُّ متحدِّيًا: "مش هيصدقك"، ألعنها وألعن الزوج الذي يترك زوجته تصل لهذه الحالة.

تعرَّفت إلى نجوان منذ شهر ت تقريبا، كانت تجلس بمفردها في إحدى الكافيهات ذات المِينِيمَم شارج المرتفعة وقد بدا عليها الحزن، ولأني لست غشيمًا لم أقطع عليها عزلتها الاختيارية، بل كلمت سعدًا للحضور والوقوف جوار الكافيه لمتابعتها ومعرفة أين تسكن، لسوء الحظ قامت بعد مكالمتي لسعد مباشرة، وقتها اضطررتُ آسفًا لاستخدام خطة بديلة خفت أن تكون أقل فاعلية، أقوم وراءها، أشير لها قبل أن تركب سيارتها، تقف، قبل أن أصل لها أخرج موبايلي، تسألني: "فيه حاجة"، أجيب وأنا أمد يدي بالموبايل: "نسيتي موبايلك على الترابيزة"، تنفي: "مش موبايلي"، أسأل: "متأكدة؟"، تجيب "طبعًا"، أسأل ثانيةً: "طيب سبتيه ليه؟"، ترد: "مكنش موجود ساعة ما قعدت"، أقول: "غريبة جدًا، عمومًا متقلقيش مش هسيبو غير لما اوصِّله لصاحبه، صحيح نسيت أعرِّفك بنفسي، أحمد محفوظ وأنتِ؟"، تبتسم "نجوان"، مغازلًا: "اسم

على مثنى"، تصحح "مسمى"، "متدخلنيش في تفاصيل" أقولها بسرعة، تضحك، تلتفت حولها قلقة، أقول وأنا أخرج من جيبي كارتًا وأمده إليها: "أنا شغال في المغترب للصرافة، لو احتجتِ دولار، يورو، أو أي عملة صعبة سهل اجيبهالك"، تنظر حولها ثانيةً، تتأكد من عدم وجود من يتابعنا فتلتقط الكارت قائلة: "شكرا"، تركب سيارتها فأقول مودعًا: "مستني تليفونك، على الأقل علشان أطمنك على الموبايل"، تبتسم وتهز رأسها بالإيجاب. تتحرك بعدما تركت داخلي يقينًا باتصالٍ قريب، أقول مشجعًا نفسي: "عشت يا ملك الارتجال"، ثم أعود للكافيه وأكافئ محفوظ بساندوتش أعدُّه بنفسي وبكوبٍ كبيرٍ من المانجو باللبن، أثناء احتفاليتي الصغيرة أتذكر سعدًا فأتصل به؛ حتى يعود أدراجه قبل أن يصل إلى هنا ويُصرّ على احتساء أي شراب مما يسمع عنه في مسلسلات التليفزيون، أنهي جلستي، أدفع الحساب، ألاحظ المحفظة ما زالت ممتلئة فأقول: "ربنا يديمها، صحيح من جدّ ولد"، أشكر الحظ الذي خدمني اليوم كما خدمني كثيرًا من قبل. غالبًا ما أجلس في هذه الأماكن بعد كل عملية ضخمة أو بعد علاقة انتهت بحصولي على مبلغٍ مُجزٍ، واليوم جئت إلى هنا لتوافر السببين لا سبب واحد، أمس وزعت كل المبالغ المالية التي أعطاها لي الشيخ في أماكنها الصحيحة، التحويلات الداخلية لأصحابها، والتحويلات الخارجية تمت بواسطة كروت ائتمان أجنبية وتحويلات بنكية بمبالغ صغيرة من حسابات عديدة، أمس أيضًا ذهبت إلى هَنَا للمرة الأخيرة، حصلت منها على عشرين ألف جنيه، كان الخوف مسيطرًا على وجهها، بكت وحلفت مائة يمين أنها لا تملك غيرها وأنها باعت دهبها حتى توفر لي المبلغ، في هذه اللحظات تحرك داخلي محفوظ الإنسان فقبلت المبلغ رغم قلّته، ووعدتها ألّا أنشر صورها وڤيديوهاتها على الإنترنت قبل أن يعود محفوظ الذي أعرفه للمشهد فينظر لها بشماتة ويسأل: "طيب ليه خلعتي جوزك طالما هتحتاجي لراجل تاني"، فلا ترد فأكمل: "إزاي وثقتي فيَّا وأنت خارجه من علاقة زي الزفت زي ما بتقولي، ولا أنتِ فيكي مغناطيس بيشد ليكي الرجالة الوسخة"، كان لديَّ الكثير لأقوله

لكني اكتفيت بذلك، أخذت مالي وخرجت.

أنزل بسرعة، أجد البواب قد عاد لمكانه المفضل فأظل واقفًا على السلم لمدة لا أحددها حتى يتحرك من مكانه وأخرج، أفكر في التصرف الأنسب الآن، قد تنفذ غدير تهديدها وتبلغ علي، وقد تسكت منتظرةً لما سأفعله، وقد تتصل بي معلنةً رضوخها لي، وإن تضاءلت نسبة الاحتمال الأخير بعد ما فعلته منذ دقائق. حين قابلت عليًا مساء اليوم نفسه لم أخبره بأي شيء، كما ظهر أن غديرًا التزمت الصمت نفسه، تحدثنا كثيرًا عن أمور لا قيمة لها، قبل أن نغادر القهوة ذهب ليدخل الحمام فطلبت منه هاتفه لعمل مكالمة مهمة مُتعللًا عدم امتلاكي رصيدًا كافيًا بموبايلي، ترك الموبايل وذهب لقضاء حاجته، أخرجت رقم ياسر من موبايله ونقلته، أنهيت المهمة بنجاح، بقيت الآن عملية التمويه، اتصلت بسعدٍ لأطمئنَّ على صحته، مسكين لديه قيء مستمر بعدما تجرَّع ست زجاجات بيرة في مدة قياسية ليكسب رهانًا عقده مع آخرين، تمنيت له الشفاء العاجل وذكَّرته بالخمسين جنيهًا التي اقترضها مني منذ شهر ولم يُعدها، أغلقت الخط في وجهه بعدما عادت له نوبة القيء ثانيةً، حين تخيلت وضعه اكتشف مدى كون الأمر مقززًا.

أتت مكالمة نجوان أسرع مما توقعت، كانت المحفظة ما تزال محافظةً على قوامها الممتلئ فدعوتها للكافيه نفسه ثانية، قصدت التأخُّر عن الموعد، كلمتني فطلبت منها الانتظار، انتظرتني أكثر من ثلاثين دقيقة كاملة بعدها اتصلت بي وهددتني بالرحيل إذا لم أحضر في غضون خمس دقائق. حين وصلت اعتذرت عن التأخير، سألتني عن السبب فأجبت: "لو قولتلك الزحمة أبقى كداب، أنا أصلًا بقالي ساعة مستني جنب الكافيه، بس حبيت أعرف ممكن تستني لحد إمتى"، نظرت لي متعجبة ففسرت: "إحنا في لعبة، مش إحنا بس لا العالم كله، المهم فيها تخرج كسبان أكبر متعة ممكنة"، تقول بسخرية: "دي فلسفة مجنون"، أرد: "غالبًا، بس متقلقيش مفيش منها أي ضرر، أنا كمحفوظ في كامل قواي الجسدية"، تتجاهل جملتي الأخيرة، تنشغل بموبايلها

فأنادي الوِيتَر وأطلب لنا مشروبي المفضل، تترك موبايلها وتقول متعجبة: "مش كنت تسألني"، فأرد: "لاقيتك مشغولة محبتش أعطلك". ترتشف العصير، تُبدي إعجابها به فأبتسم، يسود الصمت لفترةٍ قصيرة، أقطعه بالبدء في سرد قصة مُختلقة عن حياتي، حين أجد جزءًا ما من القصة جذبها أكرره وأضيف له بعض التفاصيل. كان الهدف من هذه الحوارات كلها معرفة ما يشغلها ومحاولة معرفة المزيد عنها.

بعد أن أودع عليًا أتصل بياسر، يسألني عن اسمي فأرد: "أكيد ظهرلك على الثروكُولَر"، يسكت، يرد بالإيجاب فيسأل عن ماهية محفوظ الذي يتصل به فأجيب ببساطة: "مش عايز شنطتك اللي اتسرقت"، يسكت، يسأل ثانيةً: "إنت مين؟"، فأردُ بتلقائية: "الحرامي".

كل مرة تزيد مدة مكالمتنا، هذا مؤشر المشي على الطريق الصحيح. ثقتها بي تزيد مع الوقت، يأخذنا الحديث لمناطق جديدة أكثر خصوصية في كل مكالمة، من المؤكد أن علاقتنا ستتطور وسنصل لمشهد الماستر سين، عندها سأحصل على مبلغ لم أنَلهُ من أية علاقة سابقة. إن الحديث مع الأنثى فن لا يملكه إلا أمثالي -أصحاب المدرسة المحفوظية- الذين يعرفون متى يتكلمون باحترامٍ ومتى يلقون بكلامٍ يقبل أن يكون خارجًا ومهذبًا في الوقت ذاته، ومتى يتجاوزون في الحديث مع أنثاهم.

كنت مُصرًا على مقابلة ياسر نهارًا في مكتبه، خفت أن يحاول تدبير مصيدة لي فأقع في شَرَكٍ لا أخرج منه أبدًا، طلبت من سعد البقاء بالخارج أمام كاميرا مجموعة الغنَّام التي ترصد الشارع، كان هدفي من ذلك تخويف ياسر إذا فكر في احتجازي بالداخل، تمنيت أثناء مروري بالردهات ألَا أقابل عليًا، اعتمدت على الحظ وحده لذلك لم أعدَّ ردًا مقنعًا إذا قابلني صدفةً وسألني عن سبب وجودي هنا.

نجوان شخصية غريبة الأطوار، سعيدة لحد الجنون أحيانًا، كئيبة لحد الانتحار أحيانًا أخرى، تقبل سفالتي وتجاوزاتي حينًا، ترفضها وتصفني

بقليل الأدب حينًا آخر، لم أكن أستطيع توقع ردود أفعالها وإن كنت أتمادى في أفعالي حين تكون مستعدة لذلك، حتى أتي ذلك اليوم الذي استسلمت لي تمامًا، بعدها تمددت جواري عارية، نامت وهي تحبس الدموع بعينها، قلت لنفسي "معلش كل حاجة في أولها صعبة"، لكن هل أنا فعلًا أول من خانت نجوان زوجها معه؟

انتظرت في مكتب السكرتارية لعدة دقائق، خرجت حسناء مكتبه تعتذر لي وتفتح الباب على مصراعيه، ليظهر جالسًا إلى المكتب فأراه بوضوحٍ للمرّة الأولى منذ أن بدأ عليّ يحكي لي عنه، انتصب واقفًا فور دخولي، استقبلني بحفاوةٍ بالغة، في ظروفٍ أخرى أيها الغني الساذج لم تكن لتدعني أمرُّ من الشارع الذي تقع فيه شركتك، شكرته على الترحيب، أعطيته الحقيبة، أخذها وراجع محتوياتها ثم التفت لي قائلًا: "شكرًا"، سألته المكافأة فطلب مني أن أحمد الله لعدم إبلاغه الشرطة، قلت ساخرًا: "حضرتك أنا مش اللص المثالي ولا كنت عامل فيك كاميرا خفية، أنا جاي أبتزّك"، يسألني عن المطلوب منه فأبدأ في إعطائه التفاصيل، "أنا أحمد محفوظ، ممكن تقولّي يا محفوظ، ابن خالة أحمد علي اللي بتنادي له بعلي، هو صاحبك وموظف عندك، أضف لمعلوماتك كمان إنك مرافق مراته، تحب أزود ولّا نكتفي بكدا، صحيح حبّيت أقولّك إنك اتصرفت صح ساعة ما غيّرت الباسورد بتاع الفيس بتاعك، بس التصرف ده اتأخر، أصلِي أخدت نسخة من كل اللي بينك وبين غدير ولو تحب أذيع هذيع".

أستيقظ مفزوعًا، نجوان تضربني بعنف، أقوم مبتعدًا عنها دون السؤال عن سبب الانقلاب المفاجئ، إنه الضمير ذاته الذي أوقفني للحظاتٍ على سُلّم عمارة عليّ قبل الصعود لغدير، وأعتقد أن ضمير نجوان لن يُفيق لأكثر من ست ساعات، هذه هي المدة التي علمونا في المدارس أن القوى الغاشمة تنهار خلالها، بعد أن تهدأ تمامًا ستكلمني وتطلب مني تكرار ما فعلنا، في المستقبل القريب سيكون لها صور أو فيديو مميز على الفلاشة التي لا تفارق جيبي، بعدها سأطلب منها مالًا

لمساعدتي على إجراء عملية لأحد أفراد عائلتي أو لسدّ قرضٍ عجزت عن ردّه، وقتها إذا ادّعت الفقر أو تجاهلت طلبي كما فعلت هنا سأعرض عليها ما سجلته لها، وحينها ستكون أمام خيارين؛ الأول أن تنصاع وتدبر مالي بأي شكل، والثاني أن ترفض فأنشر ما لديّ على شبكة الإنترنت لأعلن بذلك مولد بورنوستار مميزة، مشكلتي الحقيقية أنني للأسف حتى الآن لم أقابل مَن ترحب بالخيار الثاني. الله يديم نعمتَي الحياء والخجل على بنات العالم بأسره.

يمكنني الآن أن أعتبر ياسر بمثابة البنك الخاص بي، عرفت الطريق الذي سأسلكه كلما احتجت مالًا. خرجت حاصلًا على شيك بقيمة خمسين ألف جنيه، أعرف أن ما حصلت عليه قليل جدًا نسبةً إلى ما يملكه ذلك الياسر، لديه مقر إداري كبير لشركته في مصر الجديدة ومصنعان أحدهما في العبور والآخر في العاشر، حساب بنكي كبير، أراضٍ وعقارات بأماكن متنوعة، قيلَا بكومباوند لا يمكنني دخوله أصلًا. لكن القناعة هي دافعي الوحيد للقبول بهذه المبالغ البسيطة، غير أنني فعلًا كنت في قمة الاحتياج لذلك المبلغ الآن. ربما يظن البعض أنني أكسب مبالغ طائلة من أعمالي هذه، قد يبدو هذا صحيحًا للوهلة الأولى لكن أمام ما أكسبه التزامات أكبر، لكي تكون مسيطر على شباب حارتك الذين لا عمل لهم منذ أن انتهى تعليمهم -بأي شكل- تحتاج لكثيرٍ من المال، عزومات بين الحين والآخر، فلوس المجاملات في المناسبات المختلفة، القدرة على تسليفهم والوقوف جوارهم في مشاكلهم غير المنتهية، الاتفاق مع محامٍ لمتابعة قضاياهم وضمانهم في أقسام الشرطة. أجني الكثير من الخدمات مقابل ما أدفعه، أهمها المساندة في الشجارات الكبيرة، استخدامهم في تظاهرات، شهادات الزور للخروج من مأزقٍ أو لتوريطِ شخصٍ آخر، تسليط أحدهم على أحد خلق الله ليقبل أمرًا يصعب قبوله في الظروف العادية، ناهيك عن الخدمات العادية التي لا قيمة لها، كمراقبة شخصٍ ما أو استخدام بطاقاتهم لشراء خطوط موبايل أو لفتح حسابات بنكية واستخراج بطاقات ائتمانية، تلك التي يعتمد عليها خالد الشيخ لتحويل بعض الأموال

للخارج حين لا يرغب أن يظهر اسمه في الصورة. فعلًا الثروة البشرية كنز لا يعرف قيمته إلّا من استخدمه.

كالمعتاد لم تخيّب نجوان ظني، كلمتني وطلبت مني تقدير ظروفها، لم تتخيل يومًا نفسها كخائنة، على فكرة أنا مثلك تمامًا لم أكن أتخيل أن تسير حياتي على هذه القضبان، لم أتخيل محفوظًا الذي طالما دعا والده الله في صلاته أن يكون طبيبًا يشفي أوجاع الناس واحدًا ممن يزيدون هذه الأوجاع، لاحظت نجوان شرودي فسألتني السؤال المفضل للمدرسين: "محفوظ أنا كنت بقول إيه" فأردُّ مغيرًا الموضوع: "لو في إمكانية تيجي لي النهارده ياريت متتأخريش".

انتهى دور ياسر مؤقتًا، وإن كانت الطريقة المُثلَى لاستغلاله بالشكل الأمثل تشغل تفكيري. هناك اتجاه داخلي يفضل الحصولَ على مبلغٍ كبيرٍ منه وعملَ مشروعٍ ضخم، لكني كنت أشك في قدرتي على استثمار أيّ مبلغٍ كبيرٍ، فلديّ القدرة على صرف أي نقود خلال أقل وقت ممكن؛ لذلك فقد فضلت أن أبدًا من الشهر القادم الحصول على مبلغ محدد منه، كأني موظف حكومة لديه دخل ثابت، هذا قد يُشعرني بالاستقرار ويجعلني أتغير للأحسن. الآن جاء الدور على غدير ثانيةً، فأنا محفوظ، الشِّره الذي لا يكتفي بما حصل عليه، زرتها ثانيةً فلم تفتح الباب، اتصلت بها أكثر من مرة في محاولةٍ لجعلها ترضخ لي بشكل أفضل إلا أنها أبت، أثار إصرارها على الرفض تمسكي بها، انتظرتها أمام العمارة حتى تنزل لأي سبب، وحين حدث ذلك وفتحت معها الموضوع الوحيد المشترك بيننا، ردت بعنف: "لا أنت ولا ياسر، أنا خلاص قررت مش همشي في الطريق اللي علي رسمهولي كأني واحدة من أبطال روايته"، قالت كلماتها وتبعتها راجيةً إخبار علي حتى اكتشف الحقيقة أنا الآخر.

وأنا أشاهد الفيديو الذي صوَّرته لنجوان حسدت نفسي على تلك القدرة الجنسية التي أمتلكها، كم أنت محظوظة يا نجوان لقضائك مثل هذا الوقت الفريد، لكن اطمئني ستدفعين ثمن هذا الوقت في

القريب العاجل يا أنثى الإنستجرام.

بعد أن كنت قد قررت ألا أخبر عليًا عدلت عن ذلك، السبب جملة غدير الأخيرة، بصراحة أود رؤية رد فعله حين يتأكد من خيانة زوجته؛ لأن كلامها هذا جعلني أشكُّ في كونه عارفًا بكل شيء، ويكفيني ما حصلت عليه من ياسر.

تعجبت من تجاهل نجوان لي، طلبت منها مساعدتي في سد القرض، لم تجعلني أكمل، تغيرت تعبيرات وجهها ولم تعُد نجوان المألوفة لديَّ، قالت باقتضاب: "لما يبقى معايا فلوس هكلمك"، ولم تكلمني حتى أرسلت إليها المحتوى المبهر الذي صوَّرته لها دون علمها على الواتس آب، وخيَّرتها ما بين الدفع أو الرفع على شبكة الإنترنت فتوسلت لكي أحذف الڤيديو، وطلبت مني مهلةً لتجهيز المبلغ، فحذرتها من المماطلة، انهارت أمامي، أخبرتني أنها تلقَّت مني صدمة غير متوقعة، سخرت منها، من أين تعرفني حتى تُصدم بهذا الشكل؟! لم نتربَّ معًا حتى تثقي بي هكذا، ثم قلت مازحًا: "مش إنتِ بتصوري كل تفاصيل حياتك وبتنزليها على الإنستجرام، جت على دي يعني؟! صحيح يا نجوان أنتِ عندك كام فولور؟".

حين تحدثنا وجدت عليًا يطلب مقابلتي بمكانه المفضل قبل أن نذهب معًا لمقابلة ناشره الذي يطاوعه على تعبئة الكتب بالهُراء الذي يؤلفه. عمومًا ليست هذه المشكلة الأساسية الآن، ما زال داخلي بعض التردد، احسم الأمر يا محفوظ وأبلغه بما يكفيه ليكون له رد فعل تجاهها وينهي مهزلته التي جعلني مشاركا فيها، يمر علي بسيارته المتهالكة، أولًا نجلس في مقهانا المفضلة، بعد تمهيدٍ سخيفٍ أسمعه ما في حوزتي، أمارس هوايتي المفضلة في مراقبة تعبيراته، يمسح التسجيلات من موبايلي، كم أنت مسكين يا صاحبي. ننتقل بعد ذلك إلى المقطم، نقف بالسيارة عند حافة أطلق عليها اسمه -حافة عليّ- ما إن نصل حتى أتكلم مباشرةً دون مقدمات، "واضح إن علاقتهم بقالها كتير"، أتكلم، يرد، حكي وحديث لا يتوقف، أعيد عليه معظم القصة

ثانيةً رغبةً مني في إلصاقها بشكل ثابت في ذهنه، أحكي كل شيء باستثناء الجزء الذي يُظهر وجهي الحقيقي، والجزء الخاص بانتهاء العلاقة بينهما ورغبة ياسر في الاستئناف ورفض غدير، كما أنني بالطبع لا أخبره كيف حصلت على هذه التسجيلات.

يتملّكه الصمت، ينزل من السيارة ويقترب من حافته، أحاول التخفيف من صدمته التي رأيتها الآن واضحة، فيبدأ في التحدث عن غدير، يقول كلامًا غير مرتب، تتشنج حركته، يبدأ في التَّهتهَه فأطلب منه تمالك أعصابه فيسكت. ما إن تمرَّ دقائق حتى يعاود الكلام لكن هذه المرة بهدوء مَن يحاول التماسك، يخبرني أن اسم غدير معناه الغدر والمغادرة، أجاريه، أعتصر ذهني لتذكّر أي شيء عن مادة العربي فتبوء محاولاتي بالفشل، أخرج موبايلي من جيبي خلسة. أفتح الإنترنت باحثًا عن معجم، أختار واحدًا من المعاني التي تناسب ذوقي، أصيغه بأسلوبي وأخبره أني تذكّرت أحدها، أقوله وأتحرك من مكاني لأقف جواره وأشاركه النظر في الفراغ.

خلال فترة قصيرة أرسلت لي نجوان رسائل عديدة تطالبني فيها بحذف المحتوى المسجل لها، رأيت رسائلها ولم أرد، بدا لي انهيارها التام من خلال ما ترسله. انتظرت لعدة أيام قبل أن أطمئنها بأني بمجرد أن أحصل على مرادي سأنساها للأبد، واليوم أرسلت لي أنها جهزت المال. وهَأنَذا الآن أقف أمام حديقة منزلها مجددًا مستعدًا للفصل الأخير من قصتها، أنزل من السيارة، أقرر للمرة الأخيرة مصير الحقيبة، هل أدخلها معي أم أبقيها بالسيارة، أضعها أسفل كرسي السائق قبل أن أغلق الباب وأتأكد من قفل السيارة بإحكام، لا نوافذ مفتوحة ولا أبواب أيضًا، ألعن عليًا مرةً جديدة لعدم شرائه سيارةً أحدث تُغلق بمجرد الضغط على زرّ واحد، بعد هذه المراجعة أتحسس الفلاشة التي لا تفارق جيبي لمرة أخيرة وأتحرك لقضاء حاجتي الحقيقية من نجوان.

ياسر الغنَّام

حين بدأت تتخلى عن ثيابها للمرة الأولى كنت مضطربًا بشكلٍ لا يوصف فلو فتح كريم الباب سيرانا بالتأكيد، أرادت جذب انتباهي لما تفعله فسألتني عن رأيي فيها، لم يُفلح سؤالها في جذب عيني لجسدها الذي ازدادت مساحات العري فيه، ظللت محدقًا في أكرة الباب الفاصل بين الغرفة والصالة منتظرًا أن تتحرك في أي لحظة معلنةً دخول كريم واكتشافه لما يحدث. حين فشلت محاولاتها الفائتة تغيرت نبرتها وقالت منهيةً حالة التحديق اللانهائية التي أصابتني: "كريم مش هيدخل دلوقتي، أكيد". نقلت عيني إلى جسدها لأرى نتاج ما فعلت ولأن المحصلة كانت غير جيدة، فقد حاولت أن أضبط انفعالاتي لأتمكن من ترك شغفي يقودني في أولى تجاربي.

كررت سؤالها، ولما سَكتُّ تحركت تجاهي متحفزة، تمنيت ألا تصل، خطر في ذهني أن تقع ميتةً أو يبتلعها هبوط أرضي مفاجئ إلا أن ذلك لم يحدث وأضحت المسافة بيننا قيد خطوة. هي تعلم جيدًا أنني لا أكذب مهما كانت الإغراءات لكن في هذه اللحظة بالذات تعلمت صفة جديدة لا أستطيع تحديدها، وإن كان يمكنني أن أدخلها تحت باب المرونة فصل حسن التصرف، "مثيرة" رددت بانفعال زائف فعادت ضحكتها، وقالت بصوتٍ عالٍ قاصدةً إسماع كريم: "هعلّمك حل المسألة دي إزاي"، وكانت معلمة متميزة جدًا حتى وإن كانت نتيجة شرحها رسوبي في امتحان الرياضيات حينئذٍ، تكررت الدروس بالسيناريو ذاته، نصف ساعة لشرح مسائل ورموز لم أفهمها. يلي ذلك اختيار أحد التدريبات الموجودة في الكتاب وعمل امتحان لي ولكريم، ولكي تتأكد سلوى من مستوانا الدراسي وتطمئن من عدم حلنا الأسئلة معًا تفصل بيننا فيخرج كريم إلى الصالة وأبقى أنا مكاني، تنتقل بيننا قليلًا إلى أن تستقر معي لأعينها في أمور لا تستأمن عليها سواي.

انتهى العام الدراسي بسقوطٍ مُدوٍ لكريم. أشفقت عليه لبعض الوقت قبل أن تتحول الشفقة إلى ازدراءٍ استقر في النهاية لكُزه. عدت للبيت

منتظرًا عقاب والدي لرسوبي في الرياضيات ودخولي لامتحانها في الدور الثاني.

في البدايات حسبت والدي يكرهني، يعاملني بقسوةٍ زائدةٍ على إثرها عرض خالي عليّ أن أقيم عنده، لملمت أمتعتي وكدت أخرج لولا منع والدي كما منع خالي عن زيارتنا مجددًا.

بين البخل والضرب نشأت حاملًا معي عُقدًا تتضخم بالتقادم.

كنت أرى والدي ضخمًا، قويًا، لم أستطع أبدًا التحدث أمامه، كما لم أجرؤ يومًا على طلب أي شيء منه لعلمي المسبق برفضه، لا دروس إضافية، لا ملابس، لا ترفيه، دائمًا يطلب مني العيش بأضيق التكاليف؛ لذلك فقد لاقى اقتراح والدة كريم ترحيبه حين أخبرته أنها ستذاكر لي الرياضيات دون مقابل مع كريم حتى نشجع بعض على المذاكرة. في هذا اليوم وصف والدي والدة كريم بالمرأة العظيمة، ووقتما رسبتُ لعنها ولعن شرحها لا لأكثر من أنه سيدفع لي رسوم الامتحان مرةً أخرى، كان بخل والدي شديدًا وممتدًا فأنا أذكر عدم حصولي يومًا على مصروف، حتى إنني حين بدأت أدخن كان اعتمادي على ما يلقيه لي مَنْ حولي، طالما انتظرت أن يعرض أحدهم عليّ سيجارة حتى آخذها شاكرًا وأشربها على مهل؛ راغبًا في أن يراني كل مَن يمرّ.

في الصِّغَر وقبل تشكّل الوعي حسبت والدي فقيرًا وبخله لعجزه عن توفير نفقات ابنه الوحيد، إلا أن كريمًا حين منحني أول قطعة شيكولاتة في حياتي وبعدما عبرت مرحلة التلذذ بها قرأت المكتوب على ظهر السيلوفان الملون الذي يميز هذا النوع، بلد المنشأ: ألمانيا، المستورد في مصر: شركة الغنّام للاستيراد، وقد كُتب أسفل اسم الشركة عنوان مقرها في مصر الجديدة، هو نفسه عنوان مكتب أبي الذي دومًا اعتاد الشكوى من ركود السوق وقلة الرزق، دفعني الفضول لسؤال كريم عن سعر هذه القطعة فقال: "غالية، مصروف ثلاثة أسابيع"، بعد جملته قررت أمرين: الأول أن أكون مختلفًا تمامًا عن

والدي، والثاني ألّا تكون هذه هي المرة الأخيرة التي أتناول فيها الشيكولاتة.

خلال فترة علاقتي بسلوى كانت هي المصدر الرئيس في إمدادي بالمال. وللحق فرغم ضيق حالها لم تبخل عليّ أبدًا بما أردت، استمررنا معًا فِعليًا خمس سنوات تقريبًا، بدأت منذ كنت في الصف الثالث الإعدادي وحتى وفاة والدي خلال الفصل الجامعي الأول، لم تكن جميلةً كأنثى بل كانت نحيفة سمراء ذات شعر قصير خفيف وثديين صغيرين لا يكادان يُلاحظان إلا بإمعان النظر، ولعل ذلك كله كان عاملًا أساسيًا لعدم تقدم راغبي الارتباط بها بعد هروب والد كريم قبل ثلاث سنوات من علاقتنا، ويُحسب لها صمودها لفترة قبل أن تبدأ الهواجس الجنسية في ارتيادها. حينها حاولت الزواج ولم تجد من يقبل بها، مطلقة فقيرة على المستويين: الجمالي والمالي بولد معلق في رقبتها، لطالما حكت لي عن الوحدة والحاجة، لمست بسرعة تشابه مخاوفنا، كانت الشفقة بيننا متبادلة والبكاء لا ينقطع في كل مرة ننتهي مما نفعل.

مشكلة سلوى الحقيقة لم تكن سوى فقرٍ فكرٍ حسب اعتقادي، حصرت مشاكلها في خروجها من مظلة الزواج بعدما تخلى عنها والد كريم وهرب إلى حيث لا تعرف تاركًا من ورائه في مواجهة مجهول. طالما ناقشتُها في كيفية الخروج مما هي فيه إلا أنها دائمًا كانت تعود لنقطة البداية ولا تفعل شيئًا مما أنصحها به.

من وجهة نظري خطوتها تجاهي شبيهة بمعجزة، تلك الشخصية غير المتطورة كان صعبًا عليها الدخول في علاقة مع ولدٍ من سنّ ابنها، لا أعرف كيف أتت بتلك الجرأة اللحظية بادئةً تجربةً محفوفةً بالمخاطر، ولم يقنعني ما قالته لي حول اختياري بعناية دونًا عن باقي رفقاء ابنها. تابعتني دون أن أعرف، ذلك الولد الفقير الذي عانى فَقْدَ الأم مبكرًا، بالتأكيد يحتاج إلى عطفٍ يعوضه عن معاملة والده القاسية التي حكى لها عنها كريم، بالإضافة لالتزامه الصمت أغلب الوقت وردوده

المقتضبة حين يُسأل. وطبعًا لصدقه الدائم وسلوكه الطيب الذي عُرف عنه. قالت لي إنني اختيارها الوحيد الممتاز في هذه الحياة؛ لذا تمسكت بها ولم أتخلَ عنها.

أقسّم علاقتي بسلوى لأربع مراحل:

الأولى بدأت منذ أن تابعتني وقررت أن أكون بديلًا لزوج جديدٍ لن يأتي حتى رسب كريم في الصف الثالث الإعدادي. أذكر جيدًا وقت ظهور النتيجة، "تتعوض السنة الجاية" قلتها مُحاولًا التخفيف عنه لكنه فاجأني بقوله غير مكترث: "ولّا متتعوضش، مش مهم."، فضلت السكوت كعادتي، أكمل: "عايز أطلب منك طلب، ممكن؟"، هززت رأسي وقد شغلني تحول نبرة صوته ليصبح كما لم أعتدهُ من قبل، "إحنا ممكن منتقابلش تاني بعد ما تتنقل لمدرستك الثانوي، بس ده مش مهم عندي، المهم أنك متسبش ماما لو لسّه محتاجاك، صدقني أنا مش زعلان، بالعكس هي بعد أنت ما تمشي بتعاملني كويس وبتكون مبسوطة، أنا لاحظت ده، ولو الحاجات اللي بتعلموها سوا هي اللي بتريحها خليك معاها"، صعقني ما قاله، حاولت المحافظة على هدوئي "أنا..."، ظل مُحافظًا على نبرته الهادئة "إنت مش بتكدب، أنا شوفتكم، ومش عايز أسمع منك مبرر لأني والله مش زعلان"، انسابت كلماته وبدا لي يتحدث دون تحريك فمه، ضمّني تجاهه برفقٍ كوداعٍ أخير. شعرت أنه سيموت بعد لحظاتٍ لكن ذلك لم يحدث، وبقي مجاورًا لأمه التي فزعت بمجرد أن أخبرتها بما قاله وأصرت على تغيير مكان اللقاء.

المرحلة الثانية كانت في مكان لقائنا الجديد الذي استأجرته سلوى بعدما أصبحت تعطي بعض الدروس الخصوصية، ظهرت عليها بعض النعمة وترددت على الكوافير في محاولةٍ لإصلاح الممكن من عيوب الخلق، وبدأ العرسان يدقون أبوابها لأتوقع محوي من دفاترها في أقرب وقت.

لم تفعل سلوى ذلك وظللت أقضي واجبي تجاهها رغم نفوري منها في

أغلب الأحيان، وانعكست انفراجة أحوالها عليّ إلا إنني لم أتمكن وقتها من شيئين ظلّا مصدري إزعاجي: الأول أن أشتري علبة سجائر كاملة، والثاني أن أشتري شيكولاتة كتلك التي منحني إياها كريم سابقًا.

ظل السؤال يؤرّقني: لماذا لم تتركني وتتزوج؟ تمنيت الشجاعة لأسأل وأفهم، لم يسعفني الكلام فصمتُّ كالمعتاد حتى وقع والدي في مكتبه ونُقل إلى المستشفى.

لم أعِ مرض والدي، لطالما تيقنت من كونه رجلًا خارقًا لن يُقعده المرض أبدًا رغم تأكدي من موته لأن نهاية كل شخص قادمة لا جدال فيها، كثيرًا ما انتظرت اللحظة التي سيحدثني فيها أحدهم بنبرةٍ آسفةٍ قائلًا: "البقاء لله"، توقعتها وبقيت مراهنًا على الزمن الذي لم يخذلني ليُتوفّى والدي بعد مرضٍ قصيرٍ؛ فتتغير الحياة وأراها للمرة الأولى بدقةٍ عاليةٍ كالتي يشرحها مندوبو المبيعات الآن حين يبيعونك شاشة لا يتجاوز سُمكها إنشات.

المرحلة الثالثة بدأت بعد وفاة والدي حين أصبحت مسئولًا عن كل شيء، مالك ومدير مؤسسة الغنّام بكل ما تحويه، عرف المال طريقه إليّ بعدما ضلني كثيرًا، تدفق كشلّالٍ ليسيطر عليّ ويحرك رغبتي في شراء كل ما أعرف وما لا أعرف، تحولت من شخصٍ يرغب في المرور دون جذب نظر من حوله إلى عنصرٍ يُحدث صخبًا في كل مكان يدخله. قلّ ترددي على سلوى، تناسيتها لفترةٍ قبل أن تأتي لتسألني عمّا تغير. أضحك كثيرًا فقد تبدل الوضع بالكامل وعليها استيعاب طبيعة المرحلة الحالية، لا أسعى إلى شرحٍ واضح، فقط أخبرها كيف ستؤثر أحوالي الجديدة عليها. تبتسم، تعي الخير القادم، أستشفّ من وجهها ترقّب هذه اللحظة منذ سنواتٍ مضت، من غير المعقول أن تكون سلوى قد حسبتها بهذه الدقة، بشكلٍ عامٍّ أعطتني سلوى الكثير لذا تتوقع مني المثل، وكان هذا ما نويته بالفعل، عيّنت كريم الذي لا يملك أي خبرات في الشركة بمرتب محترم، اعترض مساعد والدي، طلب مني التعامل بحكمةٍ حتى لا تنهار مجموعة الغنام خلال فترةٍ قصيرة، سمعت منه

كلامًا يشبه ما بغضته من قبل، أضفت إلى لقبه الوظيفي كلمة سابق، لم أعطه مكافأة نهاية الخدمة، سعدت جدًا بقراراتي الحازمة، شعرت أني وللمرة الأولى أعاقب أبي، لم أعهد هذا الإحساس سابقًا إلا أنني قررت التمسك به، كان تعييني لكريم عقابًا له؛ كذلك إقالتي لمساعده، طرد موظفيه الذين فضلهم دائمًا واستمروا معه لسنواتٍ طويلة، استبدال سيارته بأخرى فارهة، الإنفاق بكثرة على أشياء تافهة من وجهة نظره. لوهلة تمنيت وجوده جانبي، كان سيموت ألف مرة جزّاء ما أفعل، الحقيقة الجميلة الآن أنه قد مات وانتهى، وأنا سأعيش جيدًا لسنواتٍ أكثر مما مُتُّها في حياته. أستطيع الجزم أني جربت كل شيء خلال وقتٍ شديدِ القصر، عشت أو حسبت نفسي أحيا حتى رأيتك يا زوجة علي، لتبدأ مرحلتي الأخيرة مع سلوى لأصبح لها عبارة عن بنك متنقل.

أنظر لكِ يا غدير راغبًا في اختراقك فلا أتمكن من معرفة فِيمَ تفكرين؟ هل أحزنك أن أناديك بسلوى؟ أكدت لك أن هذا حدث دون قصد، لا أسعى لخسارتك بالتأكيد، التمسي لي العذر أرجوك ولا تُنهي أبدًا شيئًا جميلًا قد بدأناه سلفًا. انتظرت أن يتغير جمودك إلا أنك بقيت صلبة كما عهدتك وقت ضيقك، أخبرتني أن إفلات لساني لم يزعجك رغم كونك أثبتّ لي خلاف ذلك بجملتك التالية، "ياسر، إحنا لازم نفترق"، ولأن هذا آخر ما أرغب في سماعه ارتديت ثيابي ورحلت.

أرسلتْ لي راغبةً في إنهاء ما بيننا، رفضت، اعتذرت عن خطئي ثانية، أعلم أن أسوأ كوابيس المرأة هو مناداة حبيبها لها باسم آخر، ترى هذا خيانة، لكن عليك التماس العذر لي، فسلوى كانت شبه الأنثى بحياتي لسنواتٍ عدة مضت قبل أن تصبحي أنت شاغلي الوحيد، أرجوكِ لا تكتبي النهاية بهذه السهولة، لم أطلب منكِ تقبُّل وجودها في حياتي فقد انتهى تقريبًا كل شيء، ما أتمناه التجاوز عن هذا الخطأ غير المقصود، خطأ يشبه استمرار زواجك من علي رغم ما يجمعنا. أيمكنني أن أتهمك بالخيانة، أم علي الأحق بإلقاء هذه التهمة؟ كانت غدير أكثر عنفًا في رسالتها التالية، طلبت مني أن أنساها، لأنه -حسب رأيها- لم

تَرَ نفسها أبدًا كخائنة. استمرت الرسائل وزاد إصرار غدير على الانسحاب من حياتي، قدمت أكثر عروضي كرمًا لكنها لم توافق، ومثلما تركتُها ورحلتُ حين فتحتْ هذه السيرة تجاهلتُ الرد على رسائلها المتزايدة.

ساعات أبحث عن حل، فتشت في موبايلي عن كل ما يجمعنا، صور، فيديوهات، أبحث عن وسيلةٍ للضغط عليها مع علمي المسبق باحتمالية فشل هذه الخطوة. فغدير عنيدة وهذه أجمل صفاتها من وجهة نظري. لم أجد سوى بعض الصور التي تجمعنا، رسائل بصوتها على واتس آب، وفيديو واحد نحتفل فيه بعيد ميلادي، قدمت لي ساعة جديدة، قبلتها، طلبت منها ألّا تتركني فوعدتني بذلك.

فكرت في آلية مناسبة لاستخدام ما أملك، أرسلت لها التسجيلات والصور والفيديو فشاهدته ولم ترد، هاتفتُها وحصلت على النتيجة نفسها. أرسلت الملفات ثانيةً في رسالة على حسابها على فيس بوك فاستمر التجاهل، سألتها إذا ما كانت قد بدأت في أخذ خطوات حقيقية تجاه قطع علاقتها بي فردت بالإيجاب، ثم عبرت عن تعجبها من الفيديو الذي أرسلته لها، "اعتبره تهديد"، نفيت تمامًا، فسرت الأمر كتذكرة بالوعد الذي قطعته على نفسها، ثم أرسلت لها بعض الرسائل الصوتية والصور وأخبرتها أني إن رغبت بتهديدها فهذا ما كان عليّ أن أريها إيّاه. اتصلت بي غدير، حكت كلامًا كثيرًا، "أنا خلاص مش هكمل، كنت وعدتك خلال ظروف معينة بأني هفضل معاك، تمام أنا مش بنكر، بس الظروف اتغيرت، أرجوك تكون راجل زي ما عرفتك دايمًا وتنفذ اللي بطلبه منك"، سايرتها لمعرفة سبب هذا التحول المفاجئ. سألتها ثانيةً ما إذا كان السبب هو مناداتي لها باسم سلوى، ردت بسرعة كأنها توقعت ما قلت، "الموضوع مش كده خالص، الفكرة فيّا أنا، قررت أني مكملش في الطريق ده، أنا ضحية لعبة"، لم أفهم. شعرت أنها في مأزق، عرضتُ المساعدة فطالبتني بالانسحاب حتى لو كان لفترة مؤقتة، فوافقت في مقابل معرفة ماذا يجري لها، أخبرتني أن عليًا يشكُ فيها

ولابد من أن تستعيد ثقته.

خلال اليومين التاليين ظل ذهني منشغلًا بمحتوى مكالمتنا، هل هناك مشكلة حقيقية أو ما قالته غدير كان لمجرد كسب الوقت حتى أعتاد حياتي دونها؟ لمسْ نفسي ألف مرة لإخباري لها بقصة سلوى كاملة، كان عليَّ التفكير قبل التحدث عنها، الأفضل لو اختلقت قصة مشوقة حول أختي التي تُدعى سلوى وانتهت حياتها على يدِ قاتلٍ مأجور، هل كانت غدير لتصدق تلك القصة المختلقة؟ لا أعلم لكنني لم أكذب طوال حياتي حتى في أحلك مواقفي أو أكثرها إثارة، في هذه اللحظة بالذات أتذكر سلوى ولا يفصلني عنها سوى خطوة، أقول "مثيرة" ثم أكمل في نفسي "للشفقة"، تقف السيارة التي أمامي دون سبب واضح قاطعةً داخلي أفكاري كافة. أحاول السيطرة على السيارة للخروج بأقل الخسائر، ينزل صاحب السيارة المتهالكة ويبدأ في الصراخ، خلال الثواني التالية أكتشف الفيلم الرديء الذي تم صنعه لسرقتي. خلال الأيام التالية تتسارع وتيرة الأحداث، ما بين محاولات اتخاذ إجراءات الحماية اللازمة للبيانات الموجودة على اللاب توب وجهود كشف اللص، إلا أن مكالمة تليفونية واحدة كانت كافية لكشف ما حدث.

رغم حصوله على ما أراد لديَّ يقين أن السر قد انكشف للأبد، سيعرف الجميع ما أخفيه وغدير منذ مدة طويلة، فكرت في طريقة لتقليل آثار ما سيحدث، رد فعل علي مشكلتي الأكبر بالتأكيد، هل سيحاول الانتقام منَّا أو سيكتفي بتطليق زوجته؟ كل الافتراضات مزعجة ومربكة. وكل الحلول تؤدي بي لنقطةٍ واحدة، ورغم أني لست دمويًا بالفطرة ولم ألجأ أبدًا لاستخدام العنف فإن الحل الأفضل هو التخلص من محفوظ.

هل لديَّ القدرة لأخذ قرارِ إنهاءِ حياةِ شخصٍ مهما بلغ خطره؟! لا أظن أنني وصلت لهذه النقطة بعدُ، ولم أشأ أن أضيع بقرار طائش ما وصلت إليه بصبر.

الحلول الأخرى قد تكون غير متاحة في هذا الوقت.

تسألني سلوى عن حلّ آخر بخلاف الصبر فأجيبها مبتسمًا "التخيُّل".

عرفت أنني سأستحوذ عليك في مرحلة ما من حياتي، أو بالأصح تخيلت ذلك، راقبتك، رأيتك تنظرين لي خلاف نظرتك للآخرين، ووقتما تيقنت ذلك صبرت حتى جمعتنا رغبة مشتركة.

لم تقف حاسَّتي عند هذا الحد بل امتدت. تخيلت أبي ليس بأبي، توقعت منه أسوأ مما لاقيته معه بمراحل، فمن الوارد ألّا يرحمك مَن هو غريب عنك.

الخيال كان الحل الأمثل للحالة الانتظارية التي مكثت بها لفتراتٍ طوال. هناك حياة أخرى غير واقعية، تتكرر وقتما تريد، تُعاد بتفاصيل مختلفة، حتى ردود أفعالي بها حُرَّة غير مقيدة. والأجمل من ذلك أنه لا مستحيل فيها.

تنظر لي سلوى متعجبة فأسألها "فهمتي حاجة؟" فتنفي، فأقول: "أحسن".

غدير

هل كل الفَقْد مؤسف؟!

لا أعتقد ذلك، أزعم أن هناك خساراتٍ أفضلَ للفرد من أي مكسب، على الأقل فهي توصل لمكسبٍ أكبر في نهاية الطريق.

انتظر ياسر التخلص من والده، هذا ما أكده لي، ووصل في النهاية إلى ما أراد وإن شكّل له الماضي كابوسًا مزعجًا.

ياسر الذي منذ أن تعرفت إليه وأنا أشعر بغموضٍ يحيطه بعكس عليّ الذي كان واضحًا لدرجة مزعجة. تمنيت ياسر ومقتُّ عليًا بخاصة لما كنا نمر به من ظروف مضطربة قد سأمتها وتمنيت تجاوزها، ياسر الذي درس جوانب حياتي كافة وخطط لظهور مميز فأدى دوره بنجاح. كان مرحلة لا أود أن تتكرر. قد تكشف أمنيتي هذه عن كُرهٍ أكنُّه داخلي تجاهه لكن الأمر مختلف، فشعوري نحوه في أحيان كثيرةٍ لا أستطيع وصفه بالشكل التقليدي، ما أقدر على البوح به أنه "احتياج الفترة الواحدة"، أي لا يمكن أن يتجدد بعد فترة معينة أنا فقط القادرة على تحديدها. لذا أخطأ ياسر كالمعتاد حين حسب تركي له بسبب سلوى، قد تكون مناداته لي باسم امرأة أخرى سببًا في بعض الضيق، وإن كان انزعاجي سيتضاعف لو ما فعله كان قبل يومٍ واحدٍ من اكتشافي لحقيقةٍ أغابها عني عليّ متعمدًا.

أنظر للموبايل، ما زال أمامي بعض الوقت لمواصلة التأمل قبل مقابلة مهمة قد تحدد اتجاهي القادم. أمام نهر لم أحفظ اسمه بعد، أجلس وحيدةً إلا من خاطرٍ يشاركني أيامي المقبلة، تُرى كيف ستسير الحياة؟ أفكر فيما فعلته منذ جِذتُ عن الطريق الذي رسمه لي علي، ساعدتني الظروف بشكلٍ غير متوقع، لو خططت لهذا كله ما كنت أبدًا هنا أبدأ حياتي على نحوٍ جديد. ومع طيّ صفحة حكايتي القديمة فبإمكاني تذكّر ما حدث دون ضغطٍ لضمان عدم وجود عواقب مزعجة، فالقصة قد بلغت نهايتها منذ مدة ولا خوف من الكشف عن كُلّ شيءٍ بحيادية

بعد أن تخلصت من كل ما يضايقني.

أبتسم، يبدو أن العالم ضيق مهما ظهر لنا اتساعه، فبعدما تخلصت من ظل ثلاثة أفراد كثيرًا ما أثقلوا على جسدي بشكلٍ ملموس. أجلس في بقعة تبعد عنهم آلاف الكيلومترات أفكر فيهم، يا له من بؤس، يبدو أنني أحببت اللعبة وأفتقدها الآن بعدما انتهت؛ لذا أود تذكّر كل التفاصيل.

أعطاني عليّ كل ما يستطيع في بداية علاقتنا، الاهتمام والرعاية وغيرها من المشاعر الجانبية المصاحبة للحب، للوهلة الأولى اعتقدت ذلك حدثًا عرضيًا كشعور مراهق لن يستمر، ولكنه للعجب استمر حتى دخل كُلّ منّا كلية مختلفة عن الآخر وإن جمعتنا جامعة واحدة، خططنا لحياةٍ هادئةٍ تجمعنا، افتقد علي إحساس العائلة لذا رغب في تكوين واحدة بأقصى سرعة، قرر أن نتزوج فور التخرّج، سعدت جدًا بحماسه، شعرت أنه بديل مناسب للارتباط في حالة عدم إيجاد من يفوقه دخلًا أو نفوذًا، لسوء الحظ لم أجد فاكتفيت به مقررةً تحديثه ليصبح نسخةً أكثر تطورًا قادرة على تحقيق أحلامي، ألحقه زوج خالته بعملٍ في إحدى الشركات، سعى لأخذ خطواتٍ أكثر إيجابية، تمت خِطبتُنا فتزوجنا. كانت حياتنا عادية في البداية، اعتدتها وتأقلمت معها، شكا علي من طبيعة وظيفته وأظهر كرهه لها، خيرته بين الذهاب أو الحصول على وظيفة أخرى، ومثلما بحثت عن بديلٍ له بحث عن وظيفةٍ أخرى فلم يجد وكفّ عن التذمر، اعتقدته تقبل الأمر. زاد الوقت الذي يخصصه للكتابة، في ظني كان يهرب بذلك الفعل مما يضايقه، طوال الفترة السابقة كثيرًا ما ردد اسم ياسر باعتباره صديقه، حكى لي مواقف جمعتهما ولما سألته لِمَ لا يدعوه لمنزلنا سكت، تجاهل كلامي فلم ألحّ، وقتها لم يهمني الأمر، خلال الفترة التالية حدثت تطورات غريبة، في أحد لقاءاتنا الجنسية أخفق، شعرته مضطربًا فهدأته، تكرر الفشل مرتين، بعد ذلك لم يغد يقترب مني، تحاشاني أكثر من مرة حاولت فيها إرجاع العلاقة إلى طبيعتها، لم نتكلم حول الأمر، حسبته

حدثًا عارضًا، بمرور الوقت أصبح ذلك الشيء المعتاد، سألته، تغيرت تعبيرات وجهه، أخبرني بأنه يعاني مرضًا غريبًا عجز الطبيب عن وصفه، لم يقل أكثر ولم أطلب توضيحًا إلا في جلسةٍ أخرى تلتها بأسبوع. في الوقت ذاته كان انهماك علي بالكتابة يزداد، يأتي من عمله وينشغل بأوراقه، أتابعه بصمت، يلتهم التفكير عقلي ولا أدري كيف التصرف، بطبيعة الحال تعاملنا مع أي أمر يخص الجنس يدعو للضحك، اقتحمت وحدته، سألته عن تفاصيل مرضه فأخبرني أن طبيبه حوَّله لآخر نفسائي، كان مترددًا، شجعته على الذهاب، طمأنته وأكدت له مقدرته على تجاوز هذا الوضع السيئ، لم أكن متيقنةً مما أقول. أعلم جيدًا أن عليًا ليس ممن يمتلكون قدرة على التصرف في الأوقات الحرجة أو العمل تحت ضغط، ومن هنا كانت أهمية محفوظ بالنسبة إليه فهو من يملك مفاتيح علي الفعلية وليس ياسر كما توهمت. وللأسف فعليّ لم يتمكن أبدًا من القيام بدور محفوظ، لو فعل لحقق نجاحاتٍ عاليةً استطاع من خلالها تحسين حياتنا المادية، لكنه خيَّب أملي كما اعتاد دومًا، وحول وجهتي إلى ما لم أحسب أبدًا. بدأت جلسات علي لدى الطبيب النفسائي، خلال هذه الفترة كنَّا نلتقي صدفة، تهرَّب مني لدرجة جعلتني أفكر في الطلاق، عرضت عليه ما فكرت فيه، طلب مني أن أقف جواره في مرضه، اقتبس كلامًا قلته من قبل، المرض حدث عارض وسينتهي قريبًا، بعد جلستنا بأيام قليلة أخبرني بأنه دعا ياسر لمنزلنا، سألته عن السبب فطلب مني التمهل وانتظار النتائج الجيدة.

قابلت ياسر للمرة الأولى، وحقيقةً فقد ندمت لعدم مقابلتي له سابقًا، دخل ياسر حياتي في وقتٍ اعتقدته مناسبًا، وقت افتقدت فيه وجود رجل حقيقي، خلال هذه المقابلة تحدثنا كثيرًا وإن كان كلامنا غير مسموع، شعرته ينتظر لقائي منذ مدة، حاولت إيصال الإحساس نفسه، حدث كل هذا داخلنا فلم يشعر به علي، استأذن ياسر للرحيل فتمنيت ألا يغادر حياتي الآن، كما تمنيت أيضًا لو كنت قابلته قبل أن ألتقي

عليًا.

لم يخطئ علي حين طلب مني انتظار نتائج لقاءاته بياسر، فقد خرج منه بوظيفة ذات راتب لم يحلم به أبدًا، طلبت من علي أن ينقل لياسر رغبتي في العمل بشركته، فطلب مني أن ننتظر للوقت المناسب ولا نرهق صديقه بطلبٍ آخر خلال وقتٍ قصير. بعد تعيينه لعلي زادت زيارات ياسر لبيتنا بلا ترتيب، وفي إحدى المرات أتى في عدم وجوده، شعرت أن مجيئه مقصود في هذا الوقت بالتحديد، شرب قهوته وحصل على رقم موبايلي ورحل في هدوء. بعدها اتصل بي وجمعنا كافيه وثقنا مع عدم معرفة علي به، وأصبح هذا المكان مقرًنا حتى انتقلنا لشقةٍ يمتلكها ياسر في إحدى المدن الجديدة، والتي انتقلت ملكيتها لي فور طلبت، تراجعت عن العمل لديه بعدما قارنت مع ما أحصل عليه منه دون إجهاد، في بداية علاقتنا لم تكن المادة شاغلي بل سد احتياجي المعنوي الذي عجز علي عن ملئه. بدت سعادتي بعلاقتنا واضحة لياسر، وبالتداعي انتقل الفرح له أيضًا، ومع رحيل زهوة البداية فكرت في تحقيق الاستفادة القصوى منه، وبمرور الأيام أصبح لي حساب بنكي يرتفع الرصيد فيه باستمرار، أغراض لم أحلم بامتلاكها يومًا على رأسها رجلٌ يُشعرني بأنوثتي التي فقدتها مع شخصٍ إحدى أبرز سماته الخيبة والسقوط المتكرر، لقد أنساني ياسر مرض علي فلم أعد أتابع تطوراته، وارتاح علي مني وتزوج كلماته فأنجب منها قصصًا لا قيمةٌ لها. لم أهتم بما يكتب على الإطلاق، وتعجبت من فضولي الذي تعطل تمامًا أمام أوراقه، ربما لعدم اهتمامي بالقراءة من الأصل، أتعجب ممن يحبسون أنفسهم أمام الكتب ويتركون الدنيا باتساعها، تجارب الآخرين لا تشغلني، الأهم تجربتي أنا، حياتي التي لم يهتمَّ بها علي وانشغل عنها بالكتابة لمن لا يقرءون ألهمت آخر بالتأمل والمشاركة.

دخلَت حياتي مع علي وياسر منحًى آخر حين تحول علي من السكون إلى الحركة، قطع صمته وصرخ فيَّ، رغب في استفزازي حتى تحقق له

مراده فتشاجرنا للمرة الأولى دون سببٍ مُهمٍّ؛ لدرجةٍ جعلتني أشك في كشفه عن علاقتي بياسر وعجزه عن التصريح بالحقيقة مما جعله يبحث عن سببٍ آخر لمهاجمتي وتمزيق رباطنا، كشفت عن مخاوفي لياسر فحكى لي عن والده الأسطوري الأشبه بالغول وطمأنني، فمن يستطيع العيش مع الحاج الغنام دون أن يفقد يقينه يستطيع عمل أي شيء بالدنيا. ضحك بلا سبب، حسدته على هدوئه فبرر "لو عرف اللي بينًا مش هيسكت، كرامته هتوجعه"، اقتنعت بما قاله ثم اكتشفت إنني على خطأ، فعليّ ومحفوظ لم يعرفا عن الشرف والكرامة إلا أسماءهما، تجهل علي يا ياسر، وأنا أيضًا.

فترة طويلة مرت بلا تطورات، الحياة نفسها تسير على جانب جيد، منذ وجدت ضالّتي صدفةً وأنا أعيش كما أريد، كل ما يُزعجني مشاجرات علي المستمرة، وظهور محفوظ المتكرر في منزلنا، طلبت من علي عدم استقباله لدينا. لا أرتاح له، وقد أثبتت الأيام صحةَ حَدسِي.

هل يمكن أن تسير الحياة على نحوٍ جيدٍ للأبد؟!

لطالما تمنيت الجمود عند لحظة معينة، يقلّ الصخب حتى التلاشي، من شدة إمعاني بالساعة تخيلت الوقت ثابتًا، يعاندني الدهر ويُفيقني على ثانيةٍ جديدةٍ من العمر تمر لتنقلني للحظة أنفر حتى من التفكير فيها.

فور دخولي إلى الشقة، يناديني علي، يسلمني خطابًا جاءني من البنك، يسألني عن رصيدي الذي أخفيه عنه، أقول بجرأة: "كان ممكن تفتح الجواب وتعرف"، يرد: "أحب أعرف منك، فعلًا كان ممكن أفتح الجواب قبل ما ترجعي بس ده مش أسلوبي"، أثناء جملته عمل ذهني بسرعة باحثًا عن كذبة مقنعة، "ورثي عن أبي الله يرحمه، مبلغ صغير فتحت به حسابًا بس نسيت أقولّك، أصلها حاجة قديمة ومش مهمة"، صدقني علي وانتهى الموقف، هكذا قلت داخلي وقتها، لكن ظهر جليًا بعد ذلك أن الأمور لن تسير بالشكل المرجوّ. فتح علي الموضوع مجددًا، تقريبًا

حين تجددت داخله الرغبة في شجار، لديه سبب جاهز وسيستغل الفرصة ليُحدث لي بعض الإزعاج. اعتدت صراخه بمرور الوقت، أصبحت أراه حجرًا يحرك ماء حياتنا الراكدة، في كل مرة تتسع دوائر الشجار حتى جاءت المرة الأولى التي حاول فيها ضربي لأترك البيت مقررة الرحيل للأبد. مر يوم، اثنان، وفي الثالث أتى علي ليصالحني. في الوقت نفسه عرضت على ياسر أن يتزوجني لكنه أخبرني أن أهم ما يميز علاقتنا عدم الزواج، لم أقتنع بكلامه، فتوره واضح، لو رغب بالزواج بي ما تردد مطلقًا، للمرة الأولى أفكر في إنهاء ما يجمعني بياسر، إلا أنني عندما راجعت البنك لمعرفة كم وصل رصيدي تراجعت، مؤكدةً لنفسي أنني سأتركه فور وصول حسابي لمبلغ معين يمنحني أمانًا أكبر، أكثر ما آلمني رفض ياسر لي، شعرت نفسي بلا قيمة حقيقة، مجرد علاقة عابرة، وتوقعت أنني لولا كوني زوجة صديقه ما نظر إليّ، من الواضح أن أهميتي تأتي من وجودك في حياتي يا علي وإن أنكرت ذلك. بسبب هذا المنطق قبلت الصفح وعدت معك إلى منزلنا، قررت التعلّم من الدرس لأتمكن من معالجة أموري بشكلٍ أمثل.

بعد العودة التي لم أتمنّها، غيرت أسلوبي، اهتممت بتفاصيل علي الصغيرة، نسخت ملفاته وأوراقه كلها وانهمكت في قراءتها، اكتشفت ما يخفيه عني لتتضح لي الصورة الحقيقية، فكرت في المواجهة فتراجعت، اتصل بي ياسر فتجاهلته، انشغلت بمراقبة علي. عرفت الطبيب الذي يتردد عليه وقابلته، سألته عن حالته بشكلٍ مفصلٍ فنفى أن يكون مشرفًا على حالة مريض بهذا الاسم، وصل تعجبي لقمته، رجحت احتمالية إخفاء الطبيب لأسرار مريضه، فأكدت له كوني زوجته ومن حقي الاطمئنان عليه، أصرّ الطبيب على إجابته فخرجت من العيادة مضطربةً قبل أن أعود لأسأل الممرض عن علي بعدما اشتريت صدقه بورقة مالية، يراجع أوراقه فلا يجد له أثرًا، أصفه فيتذكره ويخبرني بالحقيقة الكاملة. علي لا يدخل للطبيب، يكتفي بالحديث مع بعض المرضى أثناء الانتظار ثم يتعلل بموعد مفاجئ أو حدث طارئ فيرحل ولا يدخل للكشف، لما تكرر ذلك واجهه الممرض فأخبره أنه

مؤلف ويحتاج للحديث مع بعض المرضى، طرده الممرض وقطع قدمه عن زيارة العيادة مجددًا، مع الوصول لذروة الاكتشاف لا يسعني لاستيعاب الموقف سوى تحديدِ موعدِ مواجهته، راجعت بذهني ما وصلت إليه حتى الآن، بنسبة شبه أكيدة علي لا يعاني أيّ مرض، وبالرجوع لروايته الأخيرة التي قرأت ما كتبه منها حتى الآن فقد جعلني لعبة سخيفة، مجرد فأر تجارب يراقبه ليدوّن نتائج بحثه.
أقحمني علي في روايته جاعلًا مني بطلتها، ولمزيد من الإثارة والجذب أدخل عنصرًا حفّازًا يزيد من سرعة التجربة، لم تكن دعوتك لياسر فقط لمجرد الحصول على وظيفة جيدة، بل للحصول على عالَم يمكنك الكتابة عنه.

هل يمكن أن نحاكي الخالق؟

أعطى علي لنفسه الحق في اكتسابِ صفةٍ من خالقه، صنع حياة ودفعنا فيها ثم مكث يراقبنا، اعتبر ما حدث نوعًا من التماهي، ضايقني جدًا ما فعله، كيف أقام نفسه حَكَمًا وجرني إلى ما لم أتوقع. لا يمكن أن تضع إنسانًا تحت طائلة الحاجة ثم تحاسبه على تصرفاته، أنت مَن رغبت في الخيانة وليس أنا؛ لذا أجردك من حق محاسبتي، وأرى نفسي أتخلص منك بعد بضع خطوات.

حدثني ياسر، عزمت على مقابلته، رغم قمة انشغالي بعلي لكنني سعيت لإنهاء كلّ شيءٍ بعدما وضحت رؤيتي، اعتبرته تلاقي الوداع.
اندفع نحوي معبرًا عن اشتياقه، قادني لغرفة النوم، هذه المرة لم أشعر بشيء، تركته يعبث بي على حد رغبته حتى فرغ، جلسنا صامتَين، طال السكوت، سألني عن سبب اختلافي اليوم عن كل مرة، لم أرد. ألحّ طالبًا إجابة، أنقذني رنين هاتفه، بادرت بالسؤال هذه المرة "مين؟"، "حد مش مهم" قالها دون اكتراث، صممت على معرفة المتصل في محاولة تغيير الحوار، كرر بعصبية "قولتلك حد مش مهم يا سلوى"، خرجت من فمه الكلمات لتقودنا بخطئها إلى ضفةٍ أخرى، الخطأ يجرُّ الآخر، وأنا لستُ

خائنةً حتى يصفني ياسر بذلك في نهاية حديثه معي.

نويت الرحيل تاركةً ورائي كل شيء، طريقة الحديث التي استخدمها ياسر لم تُرخِني؛ وكذلك الصور والفيديو الذي أرسله لي، أرى في كل هذا تهديدًا وإن كان بشكلٍ غير مباشر. بقي ياسر يلحُّ بمكالماته، ضايقني ذلك، لم أعتَد منه هذه الملاحقة الصبيانية. في المكالمات الأولى طلبت منه احترام رغبتي وإنهاء علاقتنا، لما وجدته رافضًا ويرغب في عودتي بأي ثمن أخبرته عن شك علي في خلال الأيام الأخيرة، التمست مدةً لإرجاع الثقة كما كانت، لاقت كذبتي صدى داخله واقتنع بتركي وشأني لأيام، ما زاد إصراري على المغادرة دخول محفوظ حيّز القصة، فما فعله معي يمثل جرحًا غائرًا أتمنى تجاوزه بقوة مثلما عاهدت نفسي دائمًا قادرة على تجاوز المحن، تنساب دموع لا أقدر على كبحها، وكيف أنسى أسوأ لحظات حياتي على يد محفوظ حين أتى يساومني على ما حصل عليه من سرقته لياسر، ولأن الأمور كلها صارت مكشوفة رفضت، طردته فأبَى الخروج ودفعني إلى الحائط، انهال عليَّ ضربًا لأتوه في دوَّامة الغياب، أستيقظ فلا أجده وإن شعرت بمُخلّفاته التي تركها داخلي.

أشعر بصداع، تصرخ ذاكرتي راغبةً في النسيان، كل جزء في جسدي يواسيني، أتساءل عن دور علي في هذا الجزء من الحكاية، ضمن ترتيباته أم خارج إطار الخطة. لا فارق عندي، النتائج متساوية، كلها أوصلت محفوظ لجسدي كما مكّنت ياسر من قبله. خلال الأيام التالية حاول محفوظ تكرار المحاولة، اتصل بي فلم أرد، زارني فوقف باب الشقة حائلًا بيني وبينه، مرةً أخرى وجدته ينتظرني قرب المنزل، هددني من جديد، طلبت منه مجددًا إخبار علي بكل شيء وسيعرف من رد فعله أنه صاحب الفضل في جعلنا نعيش لسنواتٍ في حلقة مفرغة من الخيانات. اختفى محفوظ من طريقي وبدأت تنفيذ خطتي.

اتصلت بأخي وطلبت منه إرسال دعوة لزيارته، كما جمعت بقية الأوراق التي طلبتها السفارة مني. بعثُ الشقة التي أهداني إياها ياسر،

وضعت ثمنها على رصيدي البنكي وحوّلته إلى حساب أخي لأتمكن من المعيشة هناك، أثناء انهماكي بترتيب هروبي شعرت ببعض الإعياء، ظننته ارهاقًا عاديًا لكنني عرفت بعد ذلك أنني حامل بجنين لم يتجاوز عمره الشهر، لوهلةٍ ظننتني أتخيل، فما معنى أن يحدث الحمل في هذا الوقت بالذات؛ وخاصةً مع الحبوب التي أتناولها لمنعه، عمومًا معاندة القدر لن تفيد، وعلي تحديد ماذا أريد بالضبط؟ هل أريد امتدادًا يُذكّرني بعلي وياسر ومحفوظ على الدوام، لديّ فرصة التخلص منه فلقد اكتشفت الأمر مبكرًا، عليّ أن أنظر للأمر من وجهٍ آخر، أرسل الله لي طفلًا ليغير مصيري كما غير مصائر سابقة كثيرة، الاحتفاظ بالجنين مخاطرة، إثبات مادي لعلاقة آثمة، لكنه جزء مني لا أملك شجاعة بتره، تتقازفني الأفكار، يميل عقلي لطمس الخيانة بينما تسعى غريزتي للاحتفاظ بالجنين. أعترف الآن أني تعاملت مع الموقف بسذاجة، لكننا لا نكتشف سذاجة أفعالنا إلا بعد أن تمرّ.

أدهشني ياسر بتفاعله البارد مع الخبر، توقعت عرضًا للزواج مع بداية جديدة، فاجأني إصراره باختيار الحل الأصعب على قلبي، أعطاني شيكًا بقيمة مغرية لإنهاء الأمر. أكّد لي أن الاحتفاظ بالطفل سيفتح عليّ أبواب الجحيم، وحكى عن ابتزاز محفوظ له وجهوده لجعل الأمر داخل نطاق السرية، سكتُّ غيرَ راغبةٍ في الحديث، فما أخذه منه محفوظ لا يُذكر بجوار ما انتزعه مني، رحلت وفي حقيبتي الشيك الذي كتبه لي، وما زال اضطرابي لا يوصف.

خلال هذه الفترة كان اختفاء علي ومحفوظ لغزًا يحيرني، وحين عاد علي وحيدًا سألته عمّا حدث معه، أجاب متهكمًا فلم أسعَ للمعرفة، لديّ شاغلي وأنتظر اللحظة التي أستيقظ فيها ولا أجد أثرًا لأحدهم في حياتي. تمنيت أن يكون كل هذا كابوسًا مزعجًا ينتهي بمجرد أن أفتح عيني في صباحٍ صافٍ فأجدني في مكانٍ آخر، زمانٍ آخر، مع أشخاصٍ آخرين، المستحيل هو طلبي، لكنني سعيت بجِدٍّ لتحقيقه.

تلصّصت على علي، بين كلماته المبهمة ميزت "ضعنا"، "كل شيء

انتهى"، "مشروع العمر"، "محفوظ السبب"، طرقت الباب ودخلت، لاحظته شاردًا، اقتربت منه، تحاورنا، أخبرته بحملي وسألته عن إمكانية رجوع علاقتنا كسابق عهده إذا تخلصت من الجنين، كما أخبرته أيضًا بما فعله محفوظ بي. دار بيننا حديث قصير قطعه بالرحيل. الأيام التالية حملت أخبارًا متضاربة التأثير، فهمت قدر استطاعتي ثم حملت حياتي وأوراق علي وسافرت إلى حيث أجلس الآن.

أنظر للساعة فأجد موعدي قد اقترب، أدخل البيت الصغير وأبدل ثيابي، أراجع أوراق علي فأضعها في حقيبتي، حفظت محتواها عن ظهر قلب، تشمل مجموعة من قصص عليّ لم تُنشر بعد، ورواية بلا نهاية. خلال نصف ساعة سأقابل ناشرًا عربيًا يقيم في هذه المدينة الباردة، سأعرض عليه الرواية لأعرف رأيه فيها، إذا لاقت إعجابه سأقوم بنشرها.. باسمي.

ياسر الغنّام

مهما اعتقدت زيادة المسافات بيني وبين أي ظروف صعبة بعد وفاة والدي، أجدني محاصَرًا على فترات، المرة الأولى عندما دخلت الشركة في عدة مشكلات نتيجة لرعونتي في إدارتها. صحيح أنني تجاوزت الأزمة بنجاح، واستطعت بعد ذلك السير في الاتجاه الصحيح، والصعود بأرباح الشركة إلى نسب أعلى مما كانت عليه، بذلت مجهودًا كبيرًا لأقوم بذلك؛ كي أثبت أنني قادر على تجاوز نجاحات أبي.

تجددت الظروف الصعبة ثانيةً أثناء علاقتي بغدير، مرة حين رغبت في الطلاق للارتباط بي، أقنعتها بالعدول عن تلك الفكرة الغبية وأعتقد أنها وجدت ما قلته مقنعًا فتقبلته وعادت إلى زوجها. ومرة أخرى حين ظهر محفوظ الذي جعلني للمرة الأولى أشعر بالخوف من علي، وأخيرًا عندما أبلغتني غدير بحملها، يبدو أن الخوف تمسك بي طوال علاقتي بغدير، بل هو ينتقل معي من علاقةٍ لأخرى، لطالما خفت أثناء وجودي عند سلوى، كان الخوف يؤرق حياتي حتى بعد انسحاب أبي منها. جديًا أفكر الآن في إنهاء علاقتي بغدير؛ لقد زادت مشكلاتها في الفترة الأخيرة ولم أغذ أجني منها سوى الخسائر بأنواعها المختلفة.

يرن الموبايل للمرة المليون، سلوى التي لا تهدأ، لا أعلم ما سبب هذا الإصرار على الاتصال بي، يكفي أنها أفسدت جزءًا من علاقتي بغدير. منذ فترةٍ طويلةٍ لم أرُزها أو أحدثها، أتذكّرها أول كل شهر حين أسدد للبنك المبلغ المالي الذي استدانته من كارتي الائتماني، منحتها الكثير ولا تشبع، طلباتها تزداد والمبالغ التي تسحبها في تصاعُد مستمر، أرد عليها فتطلب لقائي في أقرب وقت، أعدُها أني سأمرُّ عليها غدًا، أسمع بكاءها، ترجو تبكير الموعد، "خلال ساعة هكون عندك" أطمئنها وأغلق الخط، لا بُدَّ من المرور على الشركة أولًا، اتصل بي مساعدي وأبلغني بوجود بعض الأوراق المحتاجة لتوقيعي.

أثناء بعثرة الإمضاءات على القرارات المختلفة، لاحظت إنذارًا بالفصل

لعلي لغيابه عن العمل دون إذن لثلاثةِ أيامٍ متتالية، وقرارًا بالفصل لكريم لانقطاعه شهرًا كاملًا دون إبداء أسباب، وإكرامًا لزوجة الأول وأمَ الثاني أجّلت التوقيع على القرارين حتى أتواصل معهما ليُبررا الغياب.

أطلب المصعد، جئت رغم عدم ارتياحي لعواقب هذه الزيارة، طوال الطريق أميل للعودة، لا أعلم ما أصابني، لِمَ أصبحت زيارة سلوى ثقيلة على قلبي، ليست زيارة سلوى فحسب، غدير أيضًا. أقرر لحظيًا جعل الماضي خلف ظهري، ولكن كيف دون إنهاء العلاقات المعلقة دون نهاية، عمومًا أمامي الفرصة الآن لإلغاء اسم سلوى من حياتي بعد هذه الزيارة، بعدها الدور على غدير، ثم أسلك طريقًا مُغايرًا يمكنني من خلاله السعي نحو بداية مثالية متجنبًا الأخطاء، كما آمُل التخلص من الخوف.

تفتح سلوى وقد بدا اضطرابها واضحًا، تفصح عمَّا داخلها بمجرد رؤيتي، تحكي ونبضات قلبها تتسارع عن كريم الذي اتخذ طريق الهاوية، أود التصحيح، أنت من دفعتِهِ من البداية، أحبسها داخلي، أتابع كلامها المنطلق بلا توقف، منذ فترة توطدت علاقته بأحد زملائه في العمل، أصبح يغيب لساعاتٍ طويلةٍ خارج المنزل، تحوَّل ولَمْ يعُد ذلك المسكين الذي يطمع الجميع فيما يملك، عدائيًا أضحى راغبًا بالمال، المال الذي تمدني به لم يعُد يتوقف عندي وامتد لمحطته، هذا بالإضافة لراتبه من الشركة، لم أستوعب كيف أنفق هذه الأموال الضخمة إلّا من فترةٍ بسيطةٍ حين طالبني بالمزيد وكان الخواء قد وصل رصيدي، لاحظت انفعاله الشديد وعرفت أن مدمني المخدرات زادوا واحدًا. طلب مني أن آخذ منك، ترجوني مساعدتها في إنقاذ كريم. أردُّ دون تردد راجيًا إياها عدم الاعتماد عليّ في حل المشكلة، اليوم أعلن كفايتي من هذه العلاقة، على كل فرد أن ينزع الشوك الذي يؤلمه من جسده، بكت ورجتني عدم التخلي عنها. قبل أن يصبح الموقف أكثر ابتذالًا غادرت المنزل مقررًا شطبها وابنها من حياتي،

اتصلت بمساعدي، أكّدت عليه التصديق على قرار فصل كريم وإعطاء الأمن تعليماتٍ بعدم إدخاله الشركة مرةً أخرى.

اليوم التالي يقطع علي غيابه ويصل الشركة، أستدعيه لمكتبي، أسأله عن سبب الغياب، يرد "ابن خالتي مريض وكنت معاه"، أسأله "محفوظ؟"، يرد بالإيجاب، هل يُريحني القدر منه بهذه السهولة، أرجو ذلك، ظاهريًا أبدي أسفي وأتمنى له الشفاء القريب. يطلب إجازةً قصيرةً فأوافق عليها، قبل خروجه أسأله عن أحواله فيرد بشكل ينفي إجابته قائلًا: "بخير"، تخطف عيناي شاشة المراقبة، ألاحظ محاولة كريم الدخول للمبنى إلا أن الأمن يمنعه. تُمطرني سلوى اتصالاتٍ إضافيةً فأضعها في قائمة التجاهل، كما أدرج اسمها ضمن الممنوعين من دخول الشركة، اعتقدت أنني بهذه الخطوات قد اتخذت الاحتياطات اللازمة، لكني بمجرد دخولي لمنزلي وجدت كريمًا في انتظاري. تدهورت حالته، تحوَّل لشبح، مجرد ظِلّ إنسان سابق، كيف لسلوى ألا تلاحظ مثل هذا التغيُر، كيف وصل لهذه الحالة. تجاهلت تساؤلاتي وتحركت بسرعة لفتح الباب والهرب، أفسد خُطتي بإخراج مسدسٍ وتهديدي به، لجأت لمفاوضته ليقيني بضعف موقفي، لم يتحدث، أخرج ورقةً من جيبه، رماها لتسقط قريبةً مني، أمرني بتوقيعها، سألته عمًا تحوي، قال مستهزئًا: "فيها حل يناسبني"، تحدث باقتضابٍ عن سلوى، تعجبت من عدم قول أمي كأنه فصلها عنه تمامًا، وصفها باللعبة التي ألقيتها بعدما مللتها. ارتبط الحزن بنبرة صوته طوال حديثه، شعرتُه غير طبيعي وإن حاول التماسك، سكت ثم قال بألم: "تخيَّل لو كنت مكاني"، أنهى حديثه باتهامي بتسريبِ خبرٍ عن علاقتي بسلوى للعاملين معه، أكّدت له أنني لم أفعل فأنا لست في حاجة لذلك، تبع انتشار هذه المعلومة عدم قدرته على دخول الشركة، أصبح يرى نظرةً شامتةً في عيون زملائه، واليوم قد أتى ليحل مشكلته بشكلٍ ودّي، جذبني اهتزاز المسدس في يده بشكلٍ واضح، التقطت الورقة من الأرض، عقد زواج عُرفي من والدته، سألته عن الاستفادة التي سيجنيها فرد بانكسار "لازم كل الناس تعرف أنكم متجوّزين."،

حاولت المماطلة ففشلت، وقعت، اقتربت منه لأسلمه الورقة فأشار لي بالتوقف، قذفتها مقلدًا إياه، فكرت في مهاجمته عندما ينحني لأخذ الورقة، ترقبت اللحظة المنتظرة التي لم تجئ، مشى بهدوءٍ صوب الورقة وحين أصبحت تحت قدمه تحول صوته كأنه وصل لقمة الانتصار "سلوى هتورثك لما تموت، ونهايتك سهلة هكتبها دلوقتي"، رجوته التمهل حتى نتوصل لاتفاقٍ مناسب، تجاهلني، خلال الثواني التالية وجدتني لا أملك ما أخسره. مع خطوتي الأولى خرجت الرصاصة من مسدسه، شعرت بحرارة شديدة مع اختراقها لجسمي وكان ألمي لا يوصف، استسلمت للسقوط دون أية مقاومة تُذكر، استقرَّت رصاصة كريم الثانية بظهري، اتسعت دائرة الوجع وامتدت لتشمل كامل الجسد وتفُوق القدرة على التحمل ليهرب العقل غائبًا عن أيّ وعي.

المرة الأولى التي أرى فيها والدي يبتسم، يعطيني مصروفًا ضخمًا فأشتري الشيكولاتة لي ولكريم، تعرض سلوى على والدي مساعدتي على المذاكرة فلا يوافق، يستقدم لي مدرسين يساعدونني في موادي الدراسية كافة لأحقق نتائج ممتازة. يأتيني نبأ انتحار سلوى لفشلها في العثور على عريس، أحزن لحزن كريم، يحاول والدي إخراجي من الحالة النفسية السيئة التي امتلكتني، يغيب عني لأيامٍ ثم يعود قائلًا: "بذلت مجهودًا كبيرًا علشان أرجَّعلك ماما."، أسأله: "مش ماما ماتت ومش هترجع تاني"، فيرد: "مفيش مستحيل في الأحلام"، تمامًا تشبه الصور هكذا لاحظت حين دخلت، تحتضنني للحظات، أطلب منها أن تبقى فترد: "مش هينفع"، فأقول: "طب أجي معاكي" أفاجأ برفضها قاطعًا، تبرره "لسه قدامك كتير". تظل أمي جواري حتى يغلبني النوم، لا كوابيس تزورني طوال فترة بقاء أمي جواري، أشعر بطمأنينة غريبة عني، إحساس الدفء الذي افتقدته في غيابها.

في لحظةٍ غير معلومةٍ أفيق، أجدني بغرفةٍ باردةٍ في مشفًى، أجتهد لتذكّر الحادث الذي دفعني إلى هنا، أرغب في ضغط الجرس فلا أقدر،

المسافة بيني وبينه لا تُذكر لشخص سليم بينما بالنسبة إليّ فهي أطول مسافات الدنيا، بعد فترةٍ تدخل ممرضة، تلاحظ استيقاظي، تخرج مسرعةً فتعود بالطبيب الذي يقول مبتسمًا: "حمد الله على سلامتك، بدأت النهارده حياتك الجديدة"، لم أفهم مقصده كاملًا إلا حين عرفت طبيعة تلك الحياة التي سأعيشها على كرسي متحرك سخيف، ليس هذا فحسب، سأكون غير قادر على الامتداد لأجيالٍ أخرى. أيمكن أن أتقبّل حياتي الجديدة أم عليّ التخلص منها وتنفيذ رسالة كريم التي أتى بها من أجلي؟ لِمَ لَمْ يكملها؟ لِمَ بخل عليّ بمزيدٍ من الرصاص؟ حينها ترنُّ جملة أمي داخلي "لسه قدامك كتير".

مكثت معي سلوى طوال فترة العلاج، ساندتني في وقتٍ لم أجد فيه غيرها جانبي، دعت كثيرًا على ولدها وتمنت أن يُلقى القبض عليه، وفعلًا قبل خروجي من المشفى تم القبض عليه. واسيت سلوى التي حاولت التغلب على أمومتها للنهاية، وعدتها أن تعود علاقتنا كما كانت وأفضل، رأيت هذا مناسبًا لي أكثر، حاجتي لها مرتفعة الآن.

منذ أن بدأت أسترد بعضًا من صحتي انشغلت بغدير وجنينها، أمرت مساعدي بالبحث عنها بعد فشلي في الوصول إليها هاتفيًا، غاب مساعدي لساعاتٍ ثم عاد ببعض الأخبار التي عرفها، ألقى كل ما في جعبته إليّ لأتعجب مما آلت إليه الأمور أثناء غيبوبتي، رغم كل ما حدث تمنيت احتفاظ غدير بالجنين، فهو الآن الأمل الوحيد الباقي، غدير قادرة على تعويضه أما أنا فما فُقد مني لا يُعوض، سأبحث عنها وسأجدها بالتأكيد، مستعد لدفع أي رقم للحصول عليه، سأتجنب كل سلبيات والدي في التربية لأصبح أبًا مثاليًا، يقطع بنائي للمستقبل هاجسٌ يهدد كل شيء، ماذا لو أجهضت غدير جنينها، ستواجهني مشكلة حقيقية لا حل لها مطلقًا، أخرج صورتها من الموبايل، أسألها أين هي الآن، أنتظر أن ترد، أترحّم على أيام الفقر حينما كان التخيُّل شريكي الدائم في أيامي الصعبة، جردني المال منه ومكّنني التجربة التي لم تكن أبدًا على مستوى الخيال الذي لا حدود له، حسب اعتقادي

لو للخيال سعر مادي لكان صاحب أغلى الأثمان متفوقًا على الصحة والنوم وغيرها من الأشياء التي لا يمكن شراؤها.

يوم مغادرتي للمشفى كان صعبًا فعليّ التعوُّد على حياة جديدة متعسرة، أعانتني سلوى قدر إمكانها، فكرت في توظيف مرافق يساعدني خلال الفترة القادمة، أتمنى لو أجد ابني، أقرر اتخاذ خطوات فعالة أكثر في بحثي، أحتاج لمعرفة المكان الذي سافرت له غدير، في إحدى مراتنا معًا أخبرتني أن أخاها يقيم بالخارج، لكن أين؟ أنا متأكد أنها قالت البلد، وقتها لم أنشغل بهرائها. الآن أصبح لكلامها الفارغ وزن، أعصف بذهني لكي أتذكّر، تقتحم سلوى غرفتي لإعطائي بعضًا من أدوية كثيرة كتبها لي الأطباء مع وعد بتحسن على مدى طويل، أبتلع الأقراص دون تمييز وأشكرها على الوقوف جانبي، اجتهدت لاصطناع ابتسامة، غادرت الغرفة بعد أن قالت: "لو احتجت حاجة ناديني."، أعرف جيدًا الأسى الذي تشعرين به وأقدّره يا سلوى، لكن للأسف لا أستطيع تخفيفه عنك، لا أستطيع نقله إليّ حتى لا تتألمي، وحتى إن أمكن ذلك فلن أفعل، يكفيني عجزي الذي تضخم مئات المرات حتى كاد يلتهمني لولا الأمل الضئيل الذي أعيش من أجله الآن. أين أجدك يا غدير؟ أنادي بقوة متمنيًا منها سماعي، مع كل نداء جديد يزداد ارتفاع صوتي، يرتفع أملي في رَدٍّ يجعل من حياتي فائدة ويزيد من تمسكي بها، ليس أمامي سوى البحث علّني أقابلها مجددًا وأسألها فقط هل احتفظت بجنينها أم لا، إذا كانت إجابتها إيجابية فلن تسعني الأرض من الفرحة، سأعود كياسر الذي لم يتأثر برصاص كريم، وإذا أجابت بالنفي فسأكون قد مُتُّ منذ أن وضعت الظروف سلوى في طريقي وتجاوبت معها، معتقدًا أنه لا أحد يحمل عُقدًا تتفاقم بالتقادم سواي.

أحمد محفوظ

بمجرد ضغطي على الجرس تفتح نجوان، أصابني القلق من السرعة التي فتحت بها الباب، أنظر فأجد كاميرا للمراقبة معلقة في أحد الأركان، لم ألاحظها من قبل، أعيد النظر للسيارة فأجدها في مجال رؤية الكاميرا، أزعجتني نجوان بقولها: "ادخل"، أدقق النظر في وجهها فأجد أثرًا للبكاء، أدقق أكثر فأرى مكياجها زائدًا على غير عادة، تخفي بذلك شحوب الوجه وآثار صفعات وُجِهت لها، أستشعر الخطر وأقرر الانسحاب، أرجع خطواتٍ للوراء، أقول: "نسيت حاجة في العربية هجبها وأرجع."، ألاحظ ظِلًا يخرج من الباب حاملًا عصًا مسننة، أجرى فأفتح باب السيارة، يقترب حامل العصا بسرعة ويُذيقني ضربةً قاسيةً على ظهري، أتفادى ضربته الثانية فتصيب الزجاج، الضربة الثالثة تهوي على مقدمة رأسي، نافورة دماء ساخنة تنفجر من الدماغ، أحتضن الأرض ولا أقوى على الحركة، أتناول ضربةً قاسيةً أخرى على ظهري، أسمع صوتًا خشنًا "حسابك معايا لسه مخلصش يا نجوان، أما أنت بقى فمتفتكرش أن فيه حد يقدر يعلّم علينا."، تعالجني ضربةٌ جديدةٌ نتيجةً لمحاولة النهوض التي قمت بها فأستسلم. يندفع المزيد من الدم، يتراكم الألم، ينادي الرجل نجوان طالبًا منها حبلًا فتأتي به، يشد وثاقي ويلقي بي داخل سيارة عليّ بعد أن يفتش جيوبي ويأخذ ما فيها. يختفي الرجل عن مجال رؤيتي، أسمع بعد مدةٍ صوت سيارة تقترب من مدخل الفيلا، بعد لحظاتٍ يحملني الرجل إلى السيارة التي أتى بها ويتحرك حتى يصل إلى بناء غير مكتمل، تقف السيارة، ينزل الرجل ويحملني، ننزل سلالم كثيرة، يفتح باب قبو فيلقي بي ويخرج موصدًا وراءه الباب بالمفتاح.

أسمع صوت سيارته تبتعد فأعرف أنه عاد لنجوان ليقررا القادم، رغم النّزف المستمر لا أحس الألم، قد أكون معتاد المشاجرات لكن ليس بهذه الطريقة، لم تضعني الظروف في مواجهة فردية أبدًا، منذ بداية التكوين وأنا أعتمد على الكثرة التي تغلب أية شجاعة، ومع هذا

الموقف الجديد عليّ لا أعرف ماذا أفعل؟ كل ما أعرفه في حالة هروبي من هذا المكان فسأجعل من صور نجوان العارية لوحاتٍ تزين الشوارع، سأخفي وجهي وأذيع الفيديو الخاص بنا في إحدى الشاشات العملاقة التي تذيع الإعلانات في شوارع العاصمة، أتذكر أن هذا الرجل الذي زجّ بي في هذا القبو قد أخذ مني الفلاشة التي تحوي صور فتياتي، المحفظة، والموبايل، أسأل نفسي عن أمل الخروج من هنا، تمنحني نفسي أملًا زائفًا. أنظر للشباك الصغير المفتوح في أعلى الجدار، تتسرب منه بعض الأنوار التي أستطيع من خلالها تبيُّن ما حولي، أتابع الحشرات التي تتحرك متحاشيةً الاصطدام بي كأنها تخاف من أن يرتبط مصيرها بمصيري، أفكر في سبيل الإنقاذ فلا أجد من يمكنه مساعدتي، لا أحد يعلم علاقتي بنجوان غيرنا، حتى عليّ لا أحكي له عن علاقة ما زالت جارية، دائمًا أجعله متأخرًا عني بخطوة، في الحقيقة لطالما حسبته متأخرًا عني بمئات الخطوات، لكن عندما نقلت لي غدير معلومة تخطيطه لكل ما يحدث تعجبت، فهذه ليست طبيعة ابن خالتي، إنه يسكن أوراقه ولا يخرج منها فلِمَ ينقلها لحيز الواقع، عمومًا هذه ليست مشكلتي الآنية وإن اعتبرتها مشكلةً ضمن مشاكل فرعية أخرى تواجهني، المهم الآن حل الأزمة التي وضعتني بها نجوان.

أحاول التمسك بالهدوء رغم النَّزْف، لا يرعبني منظر الدم، اعتدت رؤيته وملامسته، لا علاقة لذلك بطبيعتي القاسية، الدم يحيط بنا في كل مكان، أصلًا يكفي أنه داخلنا، بعيدًا عن الفلسفة التي ركبت عقلي بشكل مفاجئ، أبحث عن الملاذ الآمن من رجلٍ غامضٍ اقتحم حياتي بطريقةٍ بشعةٍ مقارنةً بطرقٍ كثيرةٍ استخدمتها لاختراق حياة رقيقات كل همّهن قضاء أغلب أوقاتهن في تفاهات لا طائل منها. أسبُّ نفسي، هؤلاء الفتيات الجميلات كُنَّ مصدر رزق حقيقي لي والعمل معهن جلب لي كل المتع المتخيلة، بعكس العمل مع خالد الشيخ الذي كانت فيه نسبة مخاطرة عالية... في قهوة داخل أحد الممرات التي تفصل بين عمارتين عتيقتين كنّا جالسين، انتهى خالد لتوّه من شرح طبيعة العمل لشابٍّ توسط له أحد المقربين للعمل معنا، سأله الشاب ذو اللحية

الخفيفة غير المكتملة عن كون هذا العمل حلالاً، ابتسم الشيخ وقال: "أكيد، عملنا كعمل البنك، لا اختلاف يُذكر"، رد الشاب متعجبًا: "البنك؟"، تدخلت في الحوار "البنك الإسلامي"، بعد رحيل الشاب شغلتني فكرة الحلال والحرام، لم أكن يومًا من هؤلاء الذين يهمهم هذا الأمر. بعد تفكيرٍ طويلٍ توصلت لنتيجة عملت بها خلال الفترة التالية، أصبحت أتسلّم مبالغ أكثر من خالد، أحاول دائمًا استنزاف قدرة الشخص المتعامل معي، مفسرًا ذلك لنفسي بأن لي سيئة واحدة سواء سرقت قرشًا أم مليونًا.

كثيرًا ما طرحت علي نفسي أسئلةً لم أجتهد لإجابتها، أعتقد أن لديَّ الآن وقتٌ يمكن تخصيصه للتفكير، الاستفهام الأكثر إلحاحًا يدور حول نهاية ما أفعل، هل النهاية أصبحت قريبةً مع استمرار التَّزَف؟ هل يمكنني التغير بعدما عرفت أنني ملاقٍ حتفي لا محالة، أنظر لبركة الدماء التي تكونت أمامي، كل قطرة دم استقرت هنا ربما تقلل من ذنوبي واحدًا، هذه تمحو خطأً مع هَنَا، وهذه تمحو ذنب ياسر، وهاتان القطرتان تمحوان سيئاتي التي اقترفتها في حق غدير، قد يكون ما يحدث لي الآن لتطهيري لكن على أيِّ من أوزاري، إنها أكثر من أي دماء، لم أعتدِ التفكير بهذه الطريقة، لكن عدم إيجاد خلاصٍ ممكنٍ يجعلني أحسب قرب الموت لأتحمل نتيجة أفعالي، أسفّه قولي فلا يمكنني التوبة بهذا الشكل، أبجديات التوبة هي عدم العودة للأخطاء وما أقوم به الآن العكس، لديَّ قناعة بأني في حالة خروجي من هذا المكان القاتم سأصبح أسوأ ولن أستطيع السيطرة على نفسي؛ وبالتالي ليس في وسعي أن أعدَ الله بالتوبة. تخطف عيني قطرات الدماء المستمرة بالسقوط، أتمنى أن تشكل اسم محفوظ وتحفرها على الأرض فلا يمحوها الزمن، هكذا أنا في كل مكانٍ أدخله، في كل حياةٍ أعيشها، أترك علامة محفوظة غير قابلة للنسيان، ومَن ينسى أبدًا الشخص الذي أذاقه الأذى وأمدَّه بالضيق. بالقياس نفسه، سأحفظ داخلي رغبة الانتقام ممن كان سببًا في نزْفي وعاملني كحشرةٍ يمكن إنهاء حياتها في أي وقت يريده. تقترب السيارة ثانية، لم يغِبْ صاحب العصا

طويلًا، من المؤكد أنه ذهب لنجوان وعاد، تُرى ما مصير مواجهتنا التالية، هل سيكتفي بضرباته السابقة أم سيضيف عليها أخريات؟، عمومًا بات بينه وبيني لحظات لأعرف مخططه التالي.

هناك تغيير غريب طرأ عليّ لم أفهمه، بعد زيارتي لغدير أصابني كابوس مزعج، رأيت علي يدفعني من أعلى حافةٍ لأواجه النهاية التي أخافها، أكره السقوط لأنه سينقلني إلى خانة الأموات، أكرهه لأنه يعني العدم. هناك كثيرون ممَّن يعملون معي يتمنونه لي لأنهم يرغبون في احتلال مكاني، أولهم سعد، وآخرون غيره لا أستطيع حسابهم، كما أن هناك مَن يرغبون في التشفِّي، هؤلاء من سلبتُهم حقًّا رأيته حقي.

مع النور الخافت القادم من الشباك أتبين بعضًا من ملامح الرجل، أسمر ذو شارب كثيف وله جسد رياضي، يبدو في أواخر الثلاثينات، يجلس أمامي، يتحدث عن الكنوز التي أحملها معي، أخمِّن أنه وجد الحقيبة المخبأة تحت الكرسي؛ وكذلك شاهد الفلاشة التي تحمل متعلقات ضحاياي السابقات، أسأله عن المطلوب الآن فلقد حصل على أكثر مما أراد، يضحك بشراهة، يخبرني أنني في وضعٍ لا يسمح بإلقاء الأسئلة فأسكت، يُخرج "موبايل" من جيبه، يُريني الصور والفيديوهات التي نقلها من الفلاشة ويطلب مني أسماء الفتيات الموجودات فيها، أرفض في البداية قبل أن يفك عقدة لساني ببعض الضربات الموجعة، يسألني عن أرقام هواتفهن فأردُّ: "عندك على موبايلي"، أسأله: "هتعمل معاهم إيه؟" فيتجاهلني، يسألني عن مصدر المال الموجود في الحقيبة فأجيبه مستفيدًا من الدرس السابق، أوحت لي طريقته أني داخل تحقيق رسمي، أسأله إذا كان شرطيًا فيبتسم للمرة الأولى، يتجاهل الرد لمرةٍ جديدةٍ ويتحرك من مكانه مغادرًا الغرفة، مع كل خطوة يعمل ذهني بأقصى طاقته في محاولةٍ أخيرةٍ للنجاة. حصل الرجل على مقصده مني وبالتالي فلم يعُد لي أهمية تُذكر، تطرأ فكرة مفاجئة وإن كانت غير مضمونة العواقب، أبحث عن حلولٍ بديلةٍ أفضل فلا أجد، ألمحه يكاد يغلق الباب فأقرر إلقاء الكارت الوحيد المتاح قائلًا: "أنا مش

شغال لوحدي".

يقسم الولد لسعد أن المال قد ضاع منه، يناوله سعد مزيدًا من اللكمات، أنشغل بالاتصال بالشيخ فهذه المرة الأولى التي أواجه فيها تلك المشكلة. بدا صوته غاضبًا، أمرني بتفتيش منزل الولد وأخذ أغراض توازي المبلغ المفقود، اقتحمت ومجموعة المنزل، احتجزنا أمّه وأباه في إحدى الغرف ثم قمنا بالتفتيش، خرجنا حاملين بعض الأجهزة الكهربائية وسلسلةً ذهبيةً خاصةً بالأم، اتصلت بالشيخ مرةً أخرى لأخبره أن المهمة تمت بنجاح. وددتُ السؤال عن مصير الشاب في حالة لم نجد لديه ما يساوي المال الضائع، لكن القدَر منحني مشاهدة حقيقية لمشهدٍ مشابهٍ حين قام أحد مساعدي الشيخ بأخذ مبلغ كبيرٍ واختفى، ظل الشيخ يبحث عنه لشهورٍ حتى عثر عليه، تعددت الأقاويل حول طريقة عقابه، هناك من قال إن الشيخ قتله وآخرون أكدوا انتحاره، المعلومتان المؤكدتان أن الشيخ قد أعاد حقيبته مرةً أخرى، والخائن تبخر كأنه لم يُخلق من الأساس.

تراجع الرجل عن إغلاق الباب وعاد مقتربًا مني مرةً أخرى، سألني عن شريكي فأخبرته أنه يعرف كل شيء عن علاقتي بنجوان كما أن لديه نسخةً أخرى من محتوى الفلاشة، يطلب معلوماتٍ إضافيةً فأسكت. أستجمع المتبقي لديّ من قوة وأطلب منه إخراجي من هنا، لا فائدة من ضرباتك الآن فهذه هي فرصتي الأخيرة، أصمد رغم الألم والنَّزْف، يضيق مني، يتكلم بهدوء لمرته الأولى "لو قلت لي مَنْ شريكك هتخرج"، أردُّ عمًا يضمن لي ذلك، فيقول بلا اكتراث: "لا ضمانات، أنت في الموقف الأضعف."، أسأله عن صلة قرابته بنجوان فيرد: "هتفرق معاك"، فأرد: "لو مش قريبها ممكن أقدملك عرض أحسن"، "أخوها" يقولها بصوتٍ منخفضٍ كأنه لا يرغب إيصالها لأذني، يكمل: "مَنْ شريكك؟"، فأرد باستسلام: "ابن خالتي"، أنتظر أن يفك قيدي ويُخرجني فلا يفعل، أسأله تنفيذ وعده فيقول مستهزئًا: "أنت صدقت!"، توقعت أن يقوم بهذا لذا الأمل الوحيد تصرُّف عليّ بشكلٍ صحيحٍ ليضمن إكمال حياتي

وتنفيذ مخطط الانتقام، أما إذا قام بأخطائه المعتادة فسأكون في عِدَاد الأموات خلال ساعات، أطلب منه طبيبًا يوقف لي النَّزْف فيكمل سلسلة ردوده السلبية "حياتك مش مهمة."، يتركني غارقًا في وحدتي وألمي. لم أكن أرغب بالموت الآن، حلمت بإكمال حياتي، بمزيدٍ من الساذجات، بمزيدٍ من الأرباح من الشيخ، بمقابلة تلفزيونية في أحد البرامج التافهة تكرمني فيها المذيعة على مجهوداتي في خدمة المجتمع وكشف زيفه، تُجري معي حوارًا غبيًا يليق ببرنامجها وقناتها، توثق كفاحي في أكثر من حلقة، تسألني عن طعامي المفضل، عن ممثلتي الإباحية المثيرة، عن أفضل وضع جنسي أجيده.. تُفيقني قطرات الدم المنسابة للواقع المقبِض فأستسلم وأستكمل محو ذنوبي بدمائي، بات لديَّ يقين مطلق بالموت لذا لزم عليَّ الاستسلام والتطهر، أحاول استدعاء ضميري فأفشل، كثيرًا ما طردته من جسدي لعدم التزامه بالصمت أثناء الخطأ، بعدما يَئِس مني غادرني. أعتقده سكن داخل أحد الصالحين ونسيني، قد يأتي الآن إذا شعر بصدقي فلقد انتظر طويلًا هذه اللحظة، عمومًا سواء جاء أم لا فلن يتغير شيء، سأحاول أن أبدو طيبًا عسى أن ينفعني ذلك فيما بعد، تتيبس أعضائي من الحبال التي ربطها رجل العصا بعنف، فلا مساحة تسمح لأية حركة مهما كانت بسيطة، تبدأ رؤيتي في التشوُّش، يتدرج السواد تصاعديًا ليصيب مرمى العين، هِزّة بسيطة تصيب أعماقي يتبعها خدَرٌ يزداد ليصل لأطرافي فيجعلني غير شاعر بها، يتمكن الجمود من الجسد فينهار، تحتضن وجهي بركة الدماء فأجد مذاقها مُرًا، يهاجمني ألمٌ غيرُ محتمل، يُخيم الصمت والسواد. تمدُّ أشباح سوداء أظفارها وتخترقني، أرى نفسي منكفئًا على وجهي بلا حراك، أتعجب من زاوية الرؤية. ضئيلٌ أنا من هذا المنظور البعيد، بدت كل الصراعات تافهة، الارتفاع التدريجي يمنحني مساحةً أكبر للمشاهدة، لفهمٍ جديدٍ وإن فات موعد تأثيره، الندم لم يعُد يفيد. والفترة التي قضيتها في صراعاتٍ أحسب نفسي أنهيها بانتصاراتٍ مخزيةٍ انتهت، كانت قصيرةً للغاية، لم أتصورها تنتهي بهذه السرعة. أما الآن فقد بدأت مرحلة مختلفة لها

قوانين ملزمة وخصائص صارمة، فمثلًا لا يزال النَّزْف مستمرًا لكني غير آبهٍ بألمه، فالوجع الأساس الآن غريب، يشبه اقتلاع جذر من أرضه التي نبت فيها واستقر، لعل كل شخص له درجة وجع خاصة به حسب عمق ارتباطه بالأرض. فمن مثلي تمسُّكه بالأرض لم يكن ليوصف ولذا فوجعي يفوق أي احتمال، المثير للدهشة أنني في الوقت ذاته أحس نفسي أخف، أحاول تحريك ذراعي فلا أجدها. أستوعب الانفصال المؤقت الذي حدث، في الوقت الذي يستمع فيه جسدي إلى نبض الأرض انطلقت للمس نبض السماء، اكتنفني الشتات، روحي ممزقة بين جزءٍ حلق عاليًا ليرى وجزءٍ آخر بدأ حسابه العسير. زادت وتيرة الارتفاع، أصبحت أرى نفسي نقطة سوداء على لوحة الطبيعة، أكاد أجزم باستمرار النزف وعدم توقفه، لديَّ يقين أن كلمة محفوظ تشكّلت بالدماء وستبقى محفورةً في المكان الذي استقبل نهايته.

أكثر ما كنت أحب معايشته في كل تجربة جديدة هو التمهيد، الجزء المتجدد الذي يدفع بك لداخل القصة، أما التفاصيل الداخلية فواحدة، الأحداث تتكرر بغرابة والنهايات كذلك. الإبداع الحقيقي هو ما قمت به لأخوض القصة بشخصيتي الحقيقية غير مختبئٍ خلف وهم الكتابة مثلما يفعل علي، اجتهدت للتعرف إلى ساذَجات مختلفات في الوقت الذي أنصت فيه علي لتدوين المهم من الحكاية حسب وجهة نظره التي اختلفت معها كثيرًا. المشكلة الآن ستظهر حين يكتب قصتي الكاملة للعبرة كبوست طويل على الفيس بوك مُظهرًا إياي كشرٍّ خالص، لن أستطيع الاعتراض على كتابته فسيكون المتحكم في سريان الأمور، سيستغلني بشكلٍ سيئٍ وسيُظهر وفاتي كعقابٍ أبديٍّ وليس كنقطةِ بدايةٍ إجبارية، أراهن أنه سينهي كلامه بـ "هذا جزاء محفوظ" أو "محفوظ شرير فلا تكن مثله".

اختلفت آراؤنا كثيرًا يا بنَ خالتي، وإن كنت أقنعك دائمًا في نهاية مناقشاتنا بوجهة نظري. المؤسف الآن أنك من ستستمر في الحكاية بينما دوري سينتهي هنا ولا إمكانية لديَّ لمرافقتك في الأحداث

القادمة، لو بيدي لكنت اخترت البقاء لأيامٍ. إضافيةٍ في هذا العالم لا لتصحيح مساري أو للانتقام من نجوان ورجلها، وإنما لمتابعتك ومعرفة كيف ستواجه هذا الرجل الذي لم تظن أبدًا أنك ستقابل مثله، أكاد أجزم بنتيجة معركتكما النهائية سلفًا. كنت أتمنى تقديم يد العون لك لكني أعلم أنك ستعذرني حين تُخبر بمصيري. تمنيت كوني أكتب خطابًا لك حتى أستطيع إنهاء ما في جوفي بـ"أخوك المحب لفتيات العالم.. محفوظ".

أحمد علي

أقسم للمرة الألف عدم معرفتي بهذا الأمر. أخشى تلقي مزيدٍ من الإهانات؛ لذا يتملكني بكاءٌ هستيريٌ مع الضربة الأولى لدرجة أوقفت رجل العصا عن استكمال مهمته، كرر سؤاله وكررت قسمي، هكذا امتدت فترة بعدها قيدني بحبالٍ غليظةٍ وألقى بي في السيارة، خلال دقائق كنت مرميًا في الغرفة نفسها مع محفوظ، خاطبته فلم يرد، أخبرني الرجل أنه تُوفي منذ ساعة تقريبًا بعد أن أدلى بكل المعلومات المطلوبة منه. يطرح إمكانية لحاقي به في حال استمر إنكاري لوقتٍ أطول، يخرج بعدما تصلني رسالته القاتلة، انهيار تام يصيبني، يشلّ تفكيري، ينتقل عجزي من الأسفل إلى الأعلى ليصيب العقل، أهاجم محفوظًا بلسانٍ لا يتوقف، تخرج الشحنة السلبية خلال دقائق وأحاول التماسك بحوارٍ طويلٍ أجريه مع محفوظ في محاولة يائسة لإفاقته، لست نبيًا ولا صاحب كرامات، كل ما لديّ إمكانات كتابية محدودة أحاول أن أعبّر بها عمّن يملكون حياةً ثريةً تستحق التوثيق. ولما كان جليسي الآن أحد أهم مصادر روايتي فإني أشعر بالأسى لانقطاع أثره، ينطلق لساني قدر استطاعته، مع الضغط المسيطر عليّ، يختلط الواقع بالخيال، يتجاوب محفوظ مؤديًا تعبيرات وجهه المعتادة مما يشجعني على المواصلة؛ فاستمر في الحكي حتى أسمع هدير محرك السيارة ينبهني لقدوم ذلك الرجل الذي اتصل منذ ساعتين تقريبًا؛ ليبلغني أن محفوظًا تعرض لحادث سير، أعطاني عنوانًا لمشفًى ووصف لي الطريق. نزلت مسرعًا من المنزل مستقلًا أول تاكسي قابلني، وصلت إلى المشفى فلم أجد نزيلًا بهذا الاسم، عاودت الاتصال به ليخبرني أنه ينتظرني أمام بوابة المشفى، أنزل فيقابلني بؤدٌ مصطنع، يحدثني عن أخته التي تسببت في الحادث ويعتذر طالبًا عدم إبلاغ الشرطة، يصرح بأنه فضل نقل محفوظ إلى منزله للعلاج حتى لا تتورط أخته بشكلٍ أكبر. أتفهّم موقفه، نصل إلى الفيلا أو المصيدة كما فهمت بعد ذلك، بمجرد نزولي من السيارة تتغير تعبيراته، يسألني عن صور وفيديوهات

لا أعرفها، يُخرج من أسفل كنبة السيارة عصًا ويبدأ في تهديدي بها، يشير إلى بقع دكناء عليها قائلًا: "دم ابن خالتك."، أجري فيلحقني بضربةٍ قويةٍ فأقع متشنجًا وقد غلبني البكاء.

يسأل الرجل مجددًا، يعدني بألّا يؤذيني في حالة سلمته الصور والڤيديوهات، يعاملني بلين، أبدو بإنكاري كمن يخبط رأسه في حائط، لن يقتنع بكلامي وسيظل معتقدًا أني أراوغه، أجمع تعبيراتي بصعوبة، أعدُه بالبحث عمَّا يطلب وتسليمه له خلال وقتٍ قصير، يفكر بكلامي، يرحل ليتركني ومحفوظ وحيدين نشاطر الخوف أحزاننا. أحمد الله على وجود إضاءة حتى لو كانت خافتة، تشاجرت كثيرًا مع غدير في بداية زواجنا على هذه النقطة، تحب الظلام ولا يأتيها النوم إلا وهي غارقة فيه، كما أن نومها خفيف جدًا وأية حركة بسيطة توقظها، عكسي تمامًا، أضع جواري أباجورة صغيرة تظل مضاءة طوال الليل لتحارب العتمة والأشباح، كما أنني أشغل الراديو جانبي على أية محطة لتظل أذني تستقبل الأصوات الصادرة منه، أسميتُ طقوسي باختبار الحواس، أخاف الموت وأنا نائم، ما إن أستيقظ قلقًا وأفتح عيني لأجد نورًا وصوتًا فأطمئن لوجودي في قيد الحياة. لو ملكت حق الرد يا محفوظ لقلت: "هل تسمي حياتك حياة؟!"، أحب حياتي المملّة كماءٍ راكد، أدهش جدًا ممن يريدون منك أن تعيش مثلهم متخذين مما يناسبهم مقاسًا مرنًا يناسب كل الناس، هذا غير صحيح، المناسب لي قد لا يلائمك، وجدول مفضلاتك قد أكرهه، أذواقنا مختلفة والأحلام أيضًا، قد يكون المشترك بيننا مخاوفنا، ولعل ذلك كان عيب علاقتنا الوحيد.

مثلك أخاف الميم والواو والتاء حين تجتمع على الترتيب مكونةً الكلمة الأكثر رعبًا، تشكل الحروف حاجزًا خرسانيًا يُقام في كل هاجس أغوص فيه، دافعي لكُرْه الموت هو عدم استعدادي لأن أصبح عدمًا، على الأقل في اللحظة الحالية، لا أعرف كيف واجهت نهايتك يا محفوظ، هل تألمت؟ هل واجهت ضحاياك الذين تحولوا بمجرد رؤيتك

إلى أداوت قتل أنهت حياتك لمرات جديدة، كم مرة مُتَّ يا محفوظ بعد موتك الأصلي؟ أنتظر الرد طويلًا، يغلبني النُعاس لأغفي بغير انتظام، أستيقظ على فتراتٍ فزعًا من كابوس أو حركة غير متوقعة لفأر قرر اكتشافي، أفتح عيني فأجد أشعة الشمس قد تسربت بقوة من الشباك الصغير، يقرصني الجوع فأحاول توفير طاقتي تجنبًا لمواجهة مصير محفوظ. أحاول الإنصات لصوت الشارع عسى أن تقترب سيارة فأناديها لإنقاذي، الأمر صعب؛ فقد شعرت الطريق غير ممهد بالأمس، المنطقة كلها تحت الإنشاء وواضح أنه لا عمال فيها هذه الفترة، كما أن رجل العصا لا يبدو بهذه السذاجة، كان يمكنه تكميمي إن أراد. تبع الجوعَ ظمأ، تمسكت بالصبر والأمل، بقيت ثابتًا، أتحاشى الحركة، الكلام، حتى التفكير، اختزلت نفسي في وضع السكون، حل ظلام آخر ولا تغيير يطرأ، الجسم يخور شيئًا فشيئًا أمام اليأس المتزايد بمرور الوقت، في اللحظة التي اعتقدت أنها منتصف الليل أتى صاحب العصا حاملًا زجاجة مياه ورغيف خبز، فك قيد يدي وأمرني بالتهام الطعام بسرعة وقد قمت بذلك فعلًا، لم يدُر بيننا حوار يُذكر، أعاد قيدي ثم انتقل لمحفوظ وحمله على كتفه، سألته أين سيذهب به؟ فردَّ: "اطمَن، هلاقي له خرابة مناسبة"، تحاشيت النظر إلى وجه محفوظ، ساعدني الضوء الخافت على الهروب من الرؤية، لم أرغب في أن تكون الصورة اللاصقة بذهني له بهذا الشكل المهين. ألعن الظروف التي جعلتني وحيدًا، ألعن تبعيتي لمحفوظ فربما كانت السبب في إيصالي إلى هنا، ألعن روايتي الأخيرة التي ربما كانت السبب في الخيانات المتتالية، كما ألعن رافي لأنه من فتح لي باب هذه الرواية التي ابتلعتني، بالطبع يصيب شركائي الأعزاء -غدير وياسر ومحفوظ- نصيبٌ من لعناتي.

في اللحظة نفسها مثل اليوم الفائت يدخل حاملًا وجبتي، أنهي طعامي بسرعة، قبل خروجه أسأله "وبعدين"، يخرج دون رد، الساعات الطوال التي أقضيها في تأمل هذا المكان تجعلني أتوحد معه، أكاد أجزم أن الشروخ التي بداخلي أكبر وأعمق من تلك التي تزين حوائطه، هذا القبو الذي يحوي أشياء تالفة، مكسورة، أنا نفسي أشبهها، فروحي

امتلكها الصدأ كالخردة المتراصّة دون تناسق، مُهملَة كأغراضٍ عجزت عن أداء وظيفتها فتم الاستغناء عنها. حفظت كل ركن هنا، يمكنني إخلاء المكان ثم إعادة ترتيب الأشياء الموجودة بالطريقة العشوائية نفسها ووضع كل قطعة في مكانها السابق نفسه. أعلم أنه لا فائدة مما أفعل لكن قتل الوقت بهذه الطريقة أفضل من التفكير حتى الجنون فيما يدور حولي.

يُصادقني فأرٌ يخرج بادئًا يومه بعد أذان الفجر، يلف حولي، يبحث عن فُتات خبز أو بعض قطرات ماء سقطت مني دون عمد، بعدما ينتهي من تناول بقايا طعامي الرديء يتجه ليمكث في المكان نفسه الذي رسمته جثة محفوظ، للحظةٍ حسبت روح محفوظ سكنته وقلت في نفسي لا يليق بمحفوظ إلا أن يُخلق فأرا لا إنسانًا، يظل قابعًا في مكانه حتى شروق الشمس ثم يُنهي طقوسه باختفاءٍ هادئٍ وسط الكراكيب المتراكمة في أغلب مساحات القبو.

أتساءل متى سينتهي هذا الأمر؟ لقد أصبحت عبئًا على ذي العصا، لِمَ لا يتخلص مني كما فعل مع محفوظ، يبدو أنه لم يجد حَلًا ملائمًا بعد. نحتاج إلى أن نتحاور حتى نستطيع حل المشكلة، الغموض لن يفيد، لم تعُد الحلول العنيفة مناسبةً الآن، جرني محفوظ إلى لعبته مثلما وضعته في لعبتي حين طلبت منه كشف خيانة غدير لي، صحيح أين غدير الآن؟ هل ما زالت عند ياسر أم أنه تشبَّع منها؟

يدخل صاحب العصا في موعده المحدد، لحظة انتصاف الليل حسب اعتقادي، بدا هذه المرة مختلفًا، لديه استعداد للكلام، سألته عن مصيري الذي ربطه بشيءٍ لا أملكه، وعدته بالبحث في منزل محفوظ عمَّا يريد وتسليمه له لو وجدته، مال للاقتناع فالسجن الحقيقي للسجان وليس للمسجون. فك وثاقي وأخرجني أخيرًا للدنيا الواسعة، ركبت معه سيارته حتى وصلنا لفيلا أخرى، داخل حديقتها سلمني مفتاح السيارة ومحفظتي وموبايلي، فتشت عن أوراقي واللاب توب فلم أجدهما على الكنبة، سألته عنهما فردَّ: "هسلمهملك لما تسلمني

الفلاشة"، أرجوه إعطائي إياهما، فربطهما بالتسليم يعني فقدهما بالتأكيد، يأمرني بالمغادرة متجاهلًا كلامي فأركب السيارة مستسلمًا، يعطيني مهلةً ليومٍ واحدٍ ويحذرني من خداعه حتى لا تكون العواقب وخيمة، يجذبني خيال يتحرك خلف أحد الشبابيك يتابع ما يحدث. من المؤكد أن هذه الفتاة هي أساس المشكلة، غشها محفوظ وصورها فاستعانت برجلٍ أنهى حياته وكاد يُنهي حياتي، تدور السيارة مبتعدةً لأكتب فصلًا جديدًا من حياتي. أقف عند كل صندوق قُمامة أقابله ربما أجد جثة محفوظ، بعد ثلاثِ محاولاتٍ توقّفٍ فاشلةٍ أتراجع عن الوقوف مجددًا، فحتى إذا وجدت جثته ماذا عليّ أن أفعل بها، سأتورط في كشف كل شيء للشرطة وسيُضيّع رجل العصا حياتي بالتأكيد.

بمجرد فتح الموبايل تنهمر عليّ رسائل مختلفة، أولاها من غدير فأرسل لها لأطمئنها، بعثت لي خالتي أيضًا تسألني عن محفوظ، أتصل فأجدها في قمة القلق، اعتادت أن يغيب محفوظ لأيام لكن ما لم تَعتدهُ أن يسأل عليه أناسٌ بهذه الكثافة طوال فترة غيابه، تخبرني أنها غدًا صباحًا ستبلغ الشرطة حتى يبحثوا عنه، وأبلغها أني سأتصل بصديقه الوحيد الذي أعرفه عسى أن يكون عالمًا بمكانه، بعد إغلاق الخط أسأل نفسي عن مصير جثته، هل وجدتها الشرطة ولم يتعرف عليها أحد حتى الآن، أم تشوّهت واختفت معالمها بعدما أصبحت فريسةً لحيوانات الشارع المختلفة. توقعت لك مثل هذه النهاية لكن ليس بهذا القرب، أفكر في كتابة قصتك يا محفوظ ليأخذ منها آخرون العبرة، عمومًا الوقت ليس مناسبًا لمثل هذه الأفكار فعليّ أولًا إنقاذ الرواية الجارية وإيجاد الفلاشة لتسلّم اللاب توب والأوراق، أصل للمنزل فأجد غدير نائمة، أحصل على حمّام ساخن يُعينني على المواصلة، أخرج فأجد غديرًا قد استيقظت، تسألني أين كنت، فأردُّ: "أكيد مكنتش بخونك."، أخرج قبل أن تفتح تحقيقًا طويلًا ينتهي بمشاجرةٍ مزعجة. أجلس في قهوةٍ قريبة، أحتاج إلى ترتيب الأفكار، عليّ التوجه إلى منزل محفوظ والبحث داخل غرفته، إذا لم أجد شيئًا فعليّ الاتصال

بصديقه سعد ربما يكون قد احتفظ لديه بنسخة من الصور والفيديوهات؛ فينقذني وروايتي من مصير محفوظ.

باكرًا أطرق باب خالتي، يفتح زوجها، يُفاجأ عند رؤيتي بهذا الوقت، يسألني عن تطوراتٍ فأجيب بعدم المعرفة، تخرج خالتي من غرفة النوم مسرعةً وقد بدا عليها الانزعاج. أفسر مجيئي بأني قادم لمرافقتهما إلى قسم الشرطة، أستغل دخولهما لتبديل الملابس للتفتيش بغرفة محفوظ، لا أجد شيئًا يُذكر، تناديني خالتي فأخرج من غرفة محفوظ، أعتذر لها عن الذهاب معهما متعللًا باتصال مفاجئ من غدير. أركب السيارة وأبحث في سجل هاتفي عن رقم سعد الذي حفظه محفوظ لديّ بعدما زادت اتصالاته له من رقمي متعللًا بعدمِ وجودِ رصيدٍ كافٍ لديه، أتصل به، كان أمرًا غريبًا أن أجده يلحُّ على مقابلتي في أسرع وقتٍ هو الآخر. في المكان المحدد أنتظره، يقطع ترقبي اتصالٌ من أحد موظفي الشركة، يطلب مني الحضور لعمل إجازة بمقر العمل، أخبره بقدومي خلال ساعة. يظهر سعد قادمًا بدراجة نارية، يبدو انزعاج المارّة واضحًا من الصخب الذي تحدثه آلته، يقف أمامي وبعد تحيةٍ مقتضبةٍ ندخل في استفساراتٍ عقيمةٍ متبادلةٍ لا توصل أيًا منًا لغرضه، يبتعد عني لخطواتٍ ويُجري اتصالًا بصوتٍ خفيضٍ فلا أسمعه، يُنهيه ويطلب مني المشي وراءه للقاء شخص مهم، أوافق بشرط المرور أولًا على الشركة، ينتظرني أسفل البناية وأصعد لعمل الإجازة، أنهي الإمضاءات المطلوبة عليها ويبقى توقيع ياسر فأدخل، يهتم ياسر لحالتي ويسألني عن سبب الغياب فأجيبه بأول إجابة تخطر بذهني، "ابن خالتي مريض"، فيرد: "محفوظ"، أهز رأسي بالإيجاب، ألاحظ اهتمامه، لا أذكر أني نطقت أمامه باسم محفوظ سابقًا، أعتصر ذاكرتي فلا تدلني على شيء، يمضي الإجازة متمنيًا له الشفاء، قبل خروجي يسألني عن أحوالي فأرد: "بخير". أتجاوز المصعد وأنزل السلم في تباطؤٍ شديدٍ محاولًا تأجيل ذلك اللقاء المبهم، عند بوابة الشركة أجد موظفي الأمن يمنعون فردًا من الدخول. يتطور الأمر ويبدأ الشاب في ضرب أحدهم فيجتمع الآخرون ليلقنوه درسًا قاسيًا، أتابع بلا

اكتراث فيتعجب سعد مني ويقول: "مش هتتدخل!"، فأسأله: "ليه؟"، فيجيب ببديهية: "أنت مش زي ابن خالتك خالص!"، فأرد: "الحمد لله"، أتحرك بالسيارة بينما سعد ما زال يتابع المشاجرة، ينتبه أخيرًا لحركتي فيشير لي بحركة عكسية لأتبعه أنا، يدير دراجته وينطلق.

نمرُّ بجانب مسجد السيدة نفيسة، يضيق الطريق شيئًا فشيئًا، ننحرف يمينًا ثم يسارًا حتى نصل إلى عطفة لا يسمح عرضها بمرور السيارة، أقف وأنزل فيُبدي سعد اعتراضه، يطلب مني الدخول بالسيارة فأرد: "ذلك غير ممكن لأن المسافة لا تسمح"، فيعلق قائلًا: "مش قلتلك أنت مش زي ابن خالتك خالص، محفوظ كان بيعديها في ثواني!"، أسلمه المفتاح متحديًا "اتفضل جرب"، بعد أن أتم سعد المهمة بنجاح أعاد المفتاح لي. نمشي قليلًا ثم ندخل إلى إحدى العمارات المتهالكة، أكتشف أن للعمارة بابًا آخر نخرج منه على ممرٍّ لا يتجاوز عرضه المتر في آخره باب خشبي، أشعر نفسي داخل متاهة كالتي كنت أحلها في مجلة ميكي، الفارق أني هنا تائه تمامًا ولا حلول بديلة لي، أتمنى النظر من أعلى حتى يتسنَّى لي رؤية الصورة كاملة، بتجاوز الباب الخشبي أجد بابًا آخر ينتظرنا، يطرقه سعد برفقٍ لدرجةٍ شككتني في أن هناك من سيسمع الدقات ويفتح، يخيب أحدهم ظني ويفتح الباب، أجلس وسعد على كنبةٍ قديمة، يخرج من الغرفة الوحيدة المتاحة شخص ما إن يظهر حتى يقوم سعد منتصبًا من مكانه فأقلده بحركةٍ لا إرادية، يبتسم ويشير لنا بالجلوس، يُعرفني بنفسه "خالد الشيخ"، أهز رأسي لتحيته، يغادرنا سعد ليسألني خالد السؤال الأكثر تكرارًا اليوم: أين محفوظ؟ أنفي معرفتي بمكانه، ينظر لي بريبة، "مش مقتنع لسبب واحد!"، يربط اختفائي باختفاء محفوظ، تتغير لهجته إلى التهديد وتتحول الابتسامة اللزجة التي احتلت وجهه لفترةٍ إلى جمودٍ يوحي بالضيق، يتحدث عن ضرورة أخذ رد فعل مناسب يحدُّ من خطورة الموقف، عن مبلغ مالي ضائع يُقدر بملايين، وعن ضرورة مساعدتي لهم لإرجاع المال، أسكت فيقطع الصمت بمناداة سعد ويطلب منه إعداد الشاي لنا، يعيد النظر إليّ، توحي عيناه أنه يقارنني بمحفوظ، كل كلامه

لم يكن حافزي الحقيقي للتكلّم، التهديد الذي أنهى به حديثه هو دافعي للحكي، "الدَّين يُورَّث" قالها بعدما أخذ رشفته الأولى من كوب الشاي، وكأن هذه الجرعة هي التي أوحت له بجملته الأخيرة.

أفرغت أحداث الساعات الأخيرة في جَعْبَة خالد، ظل منصتًا، سألني عن أي تفاصيل يمكنه من خلالها الوصول لقاتل محفوظ. أمنحه وصفًا تفصيليًا للفيلّا التي تم احتجازي فيها والأخرى التي تسلّمت منها سيارتي، ينادي سعد ثانيةً ويطلب منه التوجه إلى هناك والرجوع بالمعلومات اللازمة، أطلب المغادرة مع سعد لأني بدونه سأتوه بالتأكيد، يرمقني خالد بارتياب، يشير لسعد فيتبعه إلى الغرفة ويتركانني وحيدًا، أسمع همهماتهم مغًا دون تمييز، يعودان ويأذن خالد لنا بالخروج. بينما نمشي في طريق العودة إلى السيارة يهمس سعد: "لو بتكدب على الشيخ مش هيحصل كويس"، فأجيب نافيًا: "أبدًا والله"، فيقول ضاحكًا: "علشان أنت قريب محفوظ بس فليك عندي حق التحذير". بعد عدة محاولات فاشلة أستطيع الخروج بالسيارة من تلك العطفة الضيقة، أتنفس الصُعدَاء وأتحرك ببطءٍ خلف سعد، يقابلنا مجموعة من الأطفال يجرون وراء عجوز ضئيلة، يقذفونها بالحجارة بينما العجوز تصرخ "ربنا كلمني"، تكررها، أدقق النظر فيها فأجد لها شعيرات بيضاء حادة في ذقنها وجرحًا غائرًا بطول جبهتها، يقف سعد فأضطر أنا أيضًا للوقوف، يوجه كلامه للعجوز مستهزئًا: "وقالك إيه بقى" فلا تجيب بأكثر مما قالت، تكررها بعصبية، ييأس سعد من الحصول على جواب آخر. تجلس العجوز في منتصف الشارع فتعيق مروري، أنادي سعد فيترجل من دراجته النارية ويشير لها بالابتعاد عن الطريق فتأبى ذلك، يراقب الأطفال الموقف من بعيد، يكرر سعد إشارته بلا فائدة فيركلها بقوة، يعتبر الأطفال ضربة سعد إيذانًا لهم باستئناف مطاردتهم للعجوز التي جرت في اتجاهي، تقف جوار سيارتي، تحدثني بصوتٍ منخفض: "محفوظ مات"، يجذبني البريق الذي ظهر في عينيها فجأة، تكمل: "يستاهل"، تختم: "وأنت مش أحسن منه"، تلقيها وتجري ليبدأ الأولاد وراءها مارثون جديدًا. المساحة لا تسمح لمتابعتها، لكن

هل لديها المزيد لتقوله، أم هذا ما أخبرتها به السماء دون تفصيل، نتابع الحركة حتى نصل إلى مسجد السيدة نفيسة ثانية، نتفق على اللقاء ليلا، يصف لي قهوة تقع أسفل كوبري كان محفوظ دائم التردد عليها، أحفظ مكانها ثم أسأله عن العجوز التي قابلناها في طريق عودتنا، يرد: "مالها؟"، "تعرف محفوظ؟"، يبتسم "طبعًا، ده هو اللي علمني أتعامل معاها إزاي، صحيح هي قالتلك إيه؟"، أؤكد عليه موعد المساء وأغادر دون أن أجيبه.

يتصل بي رقمٌ لا أعرفه وإن كنت أعتقد أنه مرَّ عليَّ سلفًا، أخشى الرد فقد تكون مصيبةً جديدةً من تحت رأس محفوظ، يُذكّرني عقلي بماهية الرقم، هو نفسه الذي اتصل بي منه صاحب العصا يوم استدرجني لمكانه، أفتح الخط فيسأل مباشرة عن غرضه، فأرد بأنني فتشت غرفة محفوظ فلم أجد بها شيئًا يهمه، يخبرني ببرود أن اهتمامه ينصبُّ على نتائج الأفعال وليس الأفعال نفسها، وينبهني لقرب انتهاء المهلة ويؤكد عليَّ مقابلته ليلا حتى لو لم أصل لشيء، يغلق الخط بعدما يلقي حديثه.

إرثك يزداد ثقلًا يا محفوظ، توقيت موتك لم يكن مناسبًا على الإطلاق، لا طريقة لديَّ للتخلص من كل المشكلات المحيطة، ولا يمكنني مجاراة هؤلاء الأشخاص، أفكر في إبلاغ الشرطة لكن إحساسًا قويًا بالخوف يمنعني، قد أستفيد خبرةً ما من هذه التجربة، قد تتغير حياتي للأفضل فأستطيع مواجهة العالم دون محفوظ، وقد تنتهي الحياة عند هذا الحد فيضيع المتبقي من العمر، أحتاج لاستشارةٍ عاجلةٍ من شخصٍ أثق برأيه. أجد نفسي مدفوعًا للتوجه إلى رافي فأتحرك صوب الجامعة، علّني أقابله فيمد لي رأي العون.

عقلي خالٍ ولا أملك حتى نواة فكرة واحدة، توطدت أواصر الصداقة بيني ورافي، تقابلنا كثيرًا واتفقت أغلب آراؤنا، وحين صرحت له بنضوب الأفكار ابتسم، عرض عليَّ المساعدة فوافقت بلا تردد، تناقشنا حول مشروعات روائية يمكن لي العمل عليها وتطويرها. في البداية

اقترح اتّباع الموضة السائدة هذه الأيام واستلهام إحدى الفترات أو الشخصيات التاريخية والكتابة عنها، أسأله عن أبوابٍ أخرى لدخول عالم الرواية منها، نتجاذب الحديث لساعات، تدور اقتراحاته في رحاب صعب وصولي إليها، كي يخرج عملي بشكلٍ حيّ لا بُدَّ لي من الولوج داخله ثم مغادرته في النهاية، أي أن أسقط فيه بكامل الوعي والحَذس معًا، أكثر ما أتمنى قوله لرافي الآن أن الرواية حبستني داخلها وكتبت عليّ ملامسة أرض مختلفة لم تنوِ قدمي المشي عليها أبدًا. لا أدري ما الخطأ الحقيقي الذي اقترفته، هل سماعي لكلام رافي حين اقترح عليّ العمل على مشروع إبداعي يدعمه أحد محاور تسامي فرويد كان قرارًا غير صائب، أم أن موطن الخلل آتٍ من طريقة التنفيذ، حذرني رافي من طول التجربة، الصبر والمراقبة كانا أداتي. دوّنت التغيرات التي طرأت على غدير، ثم عرّفتها إلى ياسر، كلمتها عنه طويلًا كصديقٍ مقرب، كنت أراهن عليها كزوجةٍ مخلصة، وفعلًا لم تبدُ عليها آثار الخيانة فاطمأن قلبي لها، ثم عدت واكتشفت غفلتي عمّا يدور خلف ظهري فأكملت طريقي. كانت التجربة طويلة، ومن شدة خجلي لم أصارح رافي بنتائجها، وأكدت له أنني ألغيت الفكرة بعد إثبات فشلها ولم أزُره منذ ذلك الحين، اليوم أقود سيارتي لأقصده، أنوي مشاركته فيما وصلت إليه، ضاعت الرواية ولم تبقَ إلا الخيانة. أعبر بوابة الجامعة، أركن السيارة أمام مبنى كلية الآداب. أصعد السلّم فالمصعد معطل منذ تعرفي إليه، أجد مكتبه مغلقًا؛ كذلك نُزعت اللوحة التي حوت اسمه وعُلقت واحدةً باسمٍ آخر، أصل لمكتب السكرتارية، أسألها عن د. رافي فترد ببساطة: "استقال من مدة". أخرج وقد بلغ ازدحام الأحداث في رأسي مداه، يكرر عقلي المحتوى الذي سمعه من السكرتيرة مرةً أخرى "في الحقيقة أجبر على الاستقالة، تحرّش بواحدةٍ من طالباته"، تضرب الظروف آخر أساسات معتقداتي، بالنسبة إليّ اعتبرته نموذجًا لإنسان مثالي، نقلته الحادثة من خانة المثالية إلى خانة العادية، وضعته جوار شركائي في الرواية، أقرر محادثته هاتفيًا لعله يُثبت لي براءته فأصدقه وأرجعه إلى خانته قبل أن يشغلها آخر، يرد عليّ صوتٌ باردٌ بأن الرقم

الذي أدخلته غير صحيح، أنفي إدخالي لأي شيء وأكرر مدافعًا: رافي من أدخلني إلى هذا العالم. الآن دون مساعدة خارجية أواجه المجهول، في هذه اللحظة بالذات يجب أن تتطور قدراتي، فغير القادرين على التطور يموتون، منذ الانطلاق ولديّ يقين بمَنْ سينتهي ومَن سيكمل، بالأصح، من سينتهون ومن ستكمل؟ رغم ذلك اليقين بدأت غير عارفٍ الطريق المؤدي للنهاية، الآن تيقنت وأتمنى أن تكون لديّ إمكانية التغيير.

أتأمل زجاج السيارة المكسور، أتخيل محفوظ يحاول الابتعاد عن مرمي الضربة فتصيب الزجاج، أتجه لتغييره وأتساءل لِمَ لا يمكن لأيّ شخصٍ معالجة ثوابته المحطمة بالسهولة نفسها التي يمكن بها استبدال الزجاج المكسور؟!، سيلقّى مركز الصيانة المخصص لترقيع العقل والروح رواجًا غريب الوصف، لكن حتى يُفتح هذا المكان كيف يمكن معالجة النفس دون وجع. يسألني العامل حسابه فيُفيقني من الشرود، أقرر العودة للمنزل لنيل قسط من الراحة ثم النزول ثانيةً لمقابلة سعد، يتبع ذلك لقاء ثقيل آخر.

في طريق العودة يرنُّ هاتفي، أجد سعدًا يقدم موعدنا، أتجه للقهوة التي وصفها لي مباشرة، عندما وصلت لم يكن قد جاء بعد، تأملت المكان حولي، كانت قذارته صارخة. من الواضح أن محفوظًا لم يَعتدْ أبدًا الأماكن النظيفة، القبو، الشقة التي التقيت فيها خالد الشيخ، وهذه القهوة. السمة المشتركة بينها هي الاتساخ الشديد، كأن محفوظًا أحب مشاهدة تشوهات نفسه في أي موقع يرتاده، بطبيعة الأمر أنا لست أفضل حالًا منه، فلقد ارتدت أماكنه وتعرفت إلى محيطه، والآن أنعت نفسي بأكثر رجال العالم غباءً لأنني تمنيت في إحدى لحظات حياتي السابقة أن أكون محفوظًا ليومٍ واحد. تحققت نصف رغبتي وأصبحت مكانه لكن كعليّ الذي لا يتصرف جيدًا في أغلب أحواله. أطلب شايًا وأنهمك في متابعة الشارع حتى يصل سعد، أنظر لساعتي فأجدها الرابعة والنصف عصرًا، أفكر في القيام لإحضار وجبة خفيفة تُعينني

على مواصلة اليوم، أتمهل حتى يصل سعد، أستمر في مشاهدة المارّة فأكتشف أن هذا الأمر الذي لم أجربه سابقًا ماتع، تتطور الفكرة لتلقى قبولًا أعلى داخلي، فما بالك لو تمت المراقبة دون علمهم، يخفت الضوء عن قطعة داخلي لتزداد القطع المظلمة واحدة. يبدو أن الجوانب السلبية تزداد هنا، يعلن صوت المحرك الصاخب قدوم سعد، يصل حاملًا بعض أكياس الطعام، يطلب أطباقًا فارغةً من صبي القهوة فيُحضرها، يسكب سعد الطعام ويمنحني رغيفين ويقول: "عِيش وملح"، أشكره، أعبّر عن مدى جوعي بمشاركته الأكل بسرعة، يعتذر عن التأخر لمروره أولًا على الشيخ، أسأله عن التطورات فيتوقف عن الأكل ويخرج موبايله ويُريني صورة ويسأل: "تعرفه؟"، فأؤكد له أنه مَنْ خطفني وقتل محفوظًا.

يحكي لي سعد ملخص ما حدث معه في الساعات القليلة السابقة، اتجه حسب وصفي إلى الفيلّا التي تسلّمت منها سيارتي وبدأ في عملية المراقبة وجمع المعلومات، ملك مهندس يعمل خارج البلاد وتقيم بها زوجته المدعوّة نجوان عمارة، أما ذلك الرجل الذي تردد عليها اليوم والتقط له سعد هذه الصورة فهو أخوها أشرف، كان ضابطًا في الداخلية وخرج قبل سنواتٍ في إحدى حملات التطهير لسوء سلوكه، المعلومة الأخيرة عرفها خالد بتحرياتٍ سريعةٍ قام بها بواسطة شبكة علاقاته المتعددة، بات خالد متأكدًا من أن حقيبة الملايين مع أشرف، يُخبرني سعد أن الشيخ حتى وقتٍ قريبٍ كان يضعني داخل دائرة الشك، الآن يسعى للتواصل مع أشرف لإرجاع ماله، أعطيه الرقم الذي اتصل منه فيرسله مباشرةً إلى خالد، أرى الحياة تعطيني بشائر بالبقاء فيها. نستأنف تناول الطعام، يُعرفني سعد أنه دافع عني حينما أعرب له خالد عن شكّه فيّ، أستند إلى أني لا أشبه محفوظًا على الإطلاق، استطاع تقييمي من جلسةٍ واحدة، راقبني في كل موقفٍ تعرضت له معه وخرج بهذه النتيجة، كان سعيدًا جدًا لأنه احتاج بضعَ ساعاتٍ فقط ليعرفني، يعرض عليّ صداقته، يُعرّف نفسه بأنه إنسان جيد ويستحق ذلك، أعده أننا سنصبح أصدقاء إذا خرجت من هذه الأزمة

على خير، وأبتسم للمرة الأولى منذ عدة أيام.

أتفحَّص سعدًا، للوهلة الأولى أراه كمحفوظ وإن امتلك وجهًا أكثر قبولًا منه، بعد محاورته والتعامل معه تكونت لديَّ قناعة أن له طريقةً خاصةً في التعبير عن نفسه ولو كانت بسيطة ومباشرة، بعكس محفوظ الذي أحب دائمًا تقليد الممثلين وأخذ في كل فترة شخصية ليتقمصها فصار مسخًا، بعد انتهاء مرحلة معينة نستطيع الحكم عليها وتحديد عيوبها، أما خلالها فلا يمكن. هذا ما جعلني أوقن بصحة حكمي على محفوظ، وبالمنطق ذاته فقد تكون وجهة نظري في سعد غير موثقة، يسألني: "أنت بتكتب؟"، فأرد بالإيجاب وأسأل: "محفوظ قال لك؟" يتوسع في الحديث دون أن أسأله، أتى محفوظ بسيرتي أثناء جلوسهما مرةً أو اثنتين. يبذل سعد مجهودًا ليمنح حديثهُ ثقلًا، أقدّر له محاولته لإدارة حوار ذي مستوًى لم يسعَ محفوظ للوصول إليه، وإن شاب قوله أخطاء فادحة وأخرى مضحكة في بعض الأحيان.

- تعرف مشكلتنا الحقيقية إيه؟ يسألني سعد محاولًا إكساب جملته العمق اللازم.

- مشكلة مين؟ أتجاوب مع حديثه قدر الإمكان.

- أنا ومحفوظ وأنت، مش بس احنا، لا ده 90 % من الناس كمان.

- إيه؟

- القحبة الزمنية. يقولها بفخر من وصل لاكتشافٍ عظيم.

- مش فاهم؟ قدر إمكاني أستوعب جملته.

- غريبة، رغم إني حاولت أوصلهالك بطريقة المثقفين. هشرح لك، العصر اللي بنعيشه دلوقتي هو السبب في مشكلتنا. يسكت منتظرًا ردًا لم أقلَه فيستطرد مباشرة:

- كلنا بنجري علشان طمعانين نحقق أحلامنا، بس الزمن ده أسرع مننا

بكتير.

- والحل؟

- مش عارف بصراحة، أنا قادر أحط أيدي على المشكلة بس لو قلت لك أعرف أكتر من كده أبقى كداب. يقولها بعد أخذِ نفسٍ عميقٍ من الشيشة.

يقطع حوارَنا العبثيّ اتصالٌ من خالد، يخبر سعد أنه لم يستطع التواصل بعد مع أشرف، يوجه سعد كلامه لي: "الحاج بيبلغك أول ما تقابل أشرف تكلمه في الموبايل على طول"، "الحاج؟! تقصد خالد" أتعجب، يهز رأسه مؤكدًا، بعد إنهاء المكالمة أسأل سعدًا عن خالد، ما يعرفه لا يزيد على كونهم من كبار تجار الملابس، بالإضافة إلى أنهم يملكون مكتبًا للصرافة، وآخر لتأجير السيارات، سألته منذ متى يعمل معهم فأجاب: "3 سنين، محفوظ هو اللي عرفني عليهم"، يعرض عليّ العمل معهم، ليس في موقع محفوظ بالطبع فسأبدأ من الأسفل، أتجاهل عرضه غير المغري وأسأله: "هتاخد مكان محفوظ؟"، يهز رأسه بالإيجاب وقد ظهرت السعادة على وجهه.

أودعه وأرحل مع وعدٍ بتنفيذِ أمرِ خالد، أنظر في ساعتي فأجدها السابعة مساءً، أمامي ثلاث ساعات تقريبًا على موعدي مع أشرف، أركن السيارة وأقف قليلًا أمام العمارة لمتابعة المارّة، يلاحظني البوّاب فيلقي بالتحية، بعد دقائق أقرر الصعود للحصول على بعض الراحة ثم النزول مرةً أخرى.

أجد غديرًا تتابع برنامجًا سخيفًا للطهي، أتركها وأغلق عليّ حجرة المعيشة، أترقّب لقائي القادم بخوف، كلما اقترب الموعد زاد توتري، أدفن رأسي بين ركبتيّ، أسمعني أتكلم بصوتٍ عالٍ دون أن أشعر، تطرق غدير الباب وتدخل، "افتكرتك بتنادي عليّ!" تبرر قدومها، فأرد نافيًا، تجلس على كرسيّ مقابلٍ للكنبة التي اتخذت منها مكانًا لي، تسألني عن مكان اختفائي الفترة الماضية، "محفوظ واقع في مشكلة

كبيرة هبقى أقولك عليها بعدين." أجد ردي مناسبًا على غير المعتاد، أغير دفة الحوار وأسألها عن رأيها في الخيانة، فترد كأنها انتظرت سؤالي منذ دهر "حرام لمن يبدؤها."، أحس جملتها مقتبسة. تتسلم مبادرة الحديث مني وتكمل: "أنت بدأت الخيانة لما خليت مني فار تجارب."، أسكت، لست في حالةٍ تسمح بمناقشةٍ من هذا النوع. أحاول الهرب من عينيها إلا أني أجدهما تجذبانني إلى مجالها، أختار الحل الأسهل وأغمض عيني، يدور داخلي حوار طويل، أرى نفسي في خيالي أركع أمام غدير وأمسك يدها لتقبيلها، أرجوها السماح فتوافق، أتمنى أن تصبح الحياة في بساطة الأحلام، بلا حسابات معقدة، أعي استحالة ذلك، وللحظةٍ أعي خطئي أيضًا قبل أن أتراجع عن الاعتراف به، أحمّل غديرًا وياسرًا مسئولية الخيانة، كما أحمل محفوظًا مسئولية ضياع الرواية، أحاول طمأنة نفسي بقرب انتهاء الأزمة لكن ظِلّ أشرف يظهر مبددًا الأمل، يطول صمتي فتخترقه غدير بسهمٍ قاتلٍ قائلةً: "أنا حامل".

أصل إلى حافتي وأبكي، أتمنى أن يشاركني العالم كله في بكاءٍ لا ينقطع، حافظت قدر الإمكان على هدوئي أمام غدير، تماسكت وأكملت حواري معها لدقائق قبل أن أغادر وآتي هنا لتشاطرني حافتي أوجاعي، هذا المكان الوحيد الذي شهد كلامًا لم يسمعه أحد، حفظ أسراري كلها وقدّر ضعفي فلم يعايرني أبدًا على زلةِ لسانٍ أو سوءِ تصرفٍ ارتكبته، دعمني كثيرًا في وقت لم يساندني فيه أحد. والآن ومع البجاحة التي سيطرت علي غدير لتخبرني بحملها من شخصٍ آخر فعليّ اتخاذ قرار، أي قرار يليق بمستوى الموقف، لو لم تخبرني غدير وتخلصت من جنينها ثم عادت ومدت يدها لي لنبدأ لكنت وافقت دون تردد. أما المعرفة في حالات معينة فعبء، لم ولن تفهم غدير ذلك، قدرتها الاستيعابية محدودة، تسعى لحاجاتها المادية في المقام الأول دون النظر لأية اعتبارات أخرى، وخيانتها لي شر دليل على ذلك، السؤال المزعج الآن ماذا عليّ أن أفعل؟ أستعرض الاحتمالات المتاحة فلم أجد أيًا منها يحفظ كرامتي باستثناء الطلاق، عن أي كرامة أتحدث، الكرامة التي

انتهكها ياسر لسنوات بعلاقة مع زوجتي، الزوجة التي تدّعي الآن أن الخيانة تمت تحت إشرافي لتلصق بي أحطّ التهم، لا يوجد من هو أدنى منك في هذا العالم يا غدير، لا فمحفوظ يتصارع معك على اللقب. لم تكتفِ فقط بزف نبأ حملك لي، لكنك رغبت بوضعي داخل بؤرة صراع أوسع، فتحكي لي عمّا فعله محفوظ فيها، معرفة جديدة قذرة يجب عليّ التعامل معها، ليس بوسعي ذلك، الضعف شعوري الأعظم الآن، أنزل من السيارة وأقترب من الحافة، أتمنى القدرة على التخلص من كل شيء لكن شجاعة الانتحار لا تواتيني، أنظر للأنوار البعيدة التي تنبض بصخب الحياة، أنا بالنسبة إلى العالم لا شيء يُذكر، يمكنه الاستمرار دوني فوجودي وعدمه سواء، أحاول بهذا تشجيع نفسي على القفز فأفشل، غير متفاجئ بهذا الجبن فهو غير جديد عليّ. أسمع رنين موبايلي فأعود للسيارة وألتقطه، خالتي في قمة انهيارها تبلغني بعثور الشرطة على جثة محفوظ، أكبح ما أود قوله وأصبرها ببعض من جمل المواساة، أنظر لساعتي لأجدها التاسعة والربع، أطمئنها أني قادم خلال وقتٍ قصير، يودعني نحيبها. أصرخ بما كتمته أثناء محادثتها. الآن تخلصت البشرية رسميًا من أحد أسوأ أبنائها، العُقبى لك يا غدير. ألوم نفسي لأنني لم أطبع صورته الأخيرة في ذهني، أتمنى أن يعود الزمن حتى أدقق النظر فيه لتظل ملامحه في أكثر لحظات ضعفه هي سلواي، أندم على اللحظات التي أشفقتُ فيها عليه، تزعجني نفسي بتساؤل، ماذا كنت لتفعل لو عرفت ما اقترفه في حقك قبل وفاته؟ حينها فقط أحمد الله على موته.

تأبى السيارة التحرُّك، تتخذ قرارها بعدم مغادرة الحافة مهما كلفها الأمر، أفكر في إغلاقها والتحرك دونها، لن أجد مَن يُقلّني في هذا المكان غير المأهول، أتصل بأشرف فلا يرد، دقائق ويبادر بالاتصال فأجده يسألني "وصلت؟"، أشرح له ما حدث معي فيقاطعني ويسألني عن مكاني ليحضر، أصف له فلا يستطيع تمييز المكان بالضبط فأرسل له موقعي عبر الواتس آب.

تذكر انك حملت هذا الكتاب من مكتبة بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com

خلال انتظاره أتذكّر ياسر، لا أعرف السبب الحقيقي الذي جعله يقفز لذاكرتي فجأة، ربما لأن محفوظًا مات وبقي رجل آخر شاركني امرأتي، أتمنى له موتًا قريبًا ليلحق بمحفوظ. ياسر ذلك الشاب الذي قابلته في الكلية واتخذت منه صديقًا مقرّبًا يفعل بي ذلك، أذكر أنني لم أعرّفه بغدير غير عندما دعوته لمنزلنا منذ بدأت تطبيق فكرة رافي السيئة، قبل ذلك كنت أحدثه عنها وعن رغبتي في الزواج بها فشجعني على تزوُّج من أحب، كثيرًا ما تركته لأتوجه لغدير بكليتها حتى نجلس معًا ونخطط لمستقبلنا، كأنني في هذه المرحلة كانت قناعتي بأنها إذا تعرفت إلى ياسر فستتركني؛ فسعيت لتوريطها برباط الزواج حتى لا تفعل، اخترت يوم عقد قِرَاننا بعنايةٍ خلال فترة سفره إلى الصين لمتابعة أعماله حتى لا أتورط في دعوته. لا أنكر أن فكرة رافي لاقت لديّ قبولًا، فتنفيذها سهل وأستطيع متابعة نتائجها، ما لم أعرفه إلا الآن أن تقبُّل النتائج كافةً أمر مستحيل؛ لذا أسأل نفسي الآن عن السبب الذي دفعني لخوض التجربة، هل كنت فقط أريد الرهان على إخلاص غدير؟، أم رغبة في كتابة رواية حقيقية؟، أم لنيل وظيفة جيدة مريحة أستطيع العيش من خلالها؟، أم ماذا؟، الإنكار لن يفيد، الأسباب السابقة حقيقية، كلها حقيقية، لكن أمنيتي أن تكون إجاباتها كلها بنعم أمرًا مستحيلًا بكل تأكيد، فإذا أثبتُّ إخلاص غدير فالرواية لا صراع فيها حسب تعبير رافي، وإذا رغبت في كتابة رواية حقيقية توثق الضعف والحاجة فلا مكان للرهان على إخلاصها. أما نيل وظيفة بشركة ياسر فيرتبط ارتباطًا طرديًا بمدى علاقته بزوجتي، إن الأمر أشبه بمعضلة وإن كانت ليست أخلاقية بالطبع. يجب الامتثال للأمر الواقع، عليّ التحلي بالشجاعة لمرة واحدة لأضعني كمجرم وليس ضحية، كلنا مجرمون بدرجات، فلا يتساوى مَنْ خطط بمَنْ نفذ بمَنِ استغل وضعًا راهنًا. يتفاوت ذنب كل منهم، أرى المخطِّط أقلهم إثمًا والمنفذ أكثرهم، أما من يستغل أي موقف للحصول على مكسب شخصي فهو الشيطان بحد ذاته، ومَنْ أفضل من محفوظ للقيام بهذا الدور.

تذكر انك حملت هذا الكتاب من مكتبة بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com

إن الجزء الخارج عن سيطرتي تمامًا في الحكاية خاص به، فقد أعطى دورَهُ مساحةً أخرى عمل من خلالها وحصد مكسبًا لم يكن في حسباني. صحيح أنني حين أدخلته الرواية وطلبت منه دليلًا ملموسًا على الخيانة توقعت تصرفه بأي فعل، إلا أن سقف تصوراتي وقف عاجزًا أمام استباحته لغدير، هذا ما عرفته طبقًا لكلامها، ولكن هل يمكن أن تكون كاذبة؟ كل شيء جائز فمن يخون قادر على ارتكاب الأوزار كافة. ومحفوظ مات ولا يمكن سؤاله، حتى إذا كان لا يزال حيًا هل أملك شجاعة السؤال؟ وبفرض امتلاكي لمثل هذه الشجاعة المفقودة فهل أملك مقدار الشجاعة الذي يؤهلني لسماع الإجابة؟ وهل سيجيب أصلًا بصدق؟ أتوه في ثنايا التساؤلات، أحاول تخيُّلَ محفوظٍ يرد عليّ، كان سيرفع صوته ويخبرني أنه لم يتوقع أبدًا مني مثل هذا السؤال، سيحتضنني وينعتني بالأخ، وسيحلف بكلِّ غالٍ لديه أنه لم يفعل، سيؤكد أمامي استحالة قيامه بذلك كأنه يقنع نفسه قبلي بالإجابة، ثم يقول: "إزاي تصدق واحدة خاينة زي دي؟!"، أعتقد أنني عرفت محفوظًا بالقدر الكافي الذي يجعل نسبة صحة هذه الإجابة تتجاوز الخمسين بالمائة. أحتار بين كلام غدير وحلفان محفوظ، وكالعادة ستتوه الحقيقة ولن أقدر على استخراجها، وإن كنت أقرب لتصديق غدير عن محفوظ.

أتمنى العودة إلى نقطة الصفر، حين يقترح رافي الفكرة فلا أوافق عليها وأعود لأنام جوار زوجتي، وأستيقظ في صباحٍ يومٍ تالٍ لأذهب لعملي السيئ وأتقبله، أقابل ياسر بعد ذلك فيعرض عليّ العمل في شركته فأعتذر مبررًا الرفض بالارتباط القوي بعملي. أجعل علاقتي بمحفوظ سطحية قدر إمكاني، أتحجج في كل مرة يدعوني لمقابلته حتى ييأس من لقائي، تسير الأمور على نحوٍ هادئ بعد هجراني للكتابة. يأتي اليوم الذي تُبشرني فيه غدير بحملها فأطير من شدة السعادة، نخطط لمستقبل مولودنا، نقترح معًا اسمًا مميزًا له، يكتب كلٌ منّا مجموعة من الأسماء في ورقة ونصوّت عليها حتى نختار الأنسب، نُرزق بطفل جميل يشبهها، نعيش حياتنا المثالية بكل معانيها، أرى

تذكر انك حملت هذا الكتاب من مكتبة بيت الحصريات
www.maktabbah.blogspot.com

نفسي في جنة تُفسدها غدير الحقيقية قائلة: "أنا حامل"، يتداخل صوتها بصوت محفوظ الذي يخبرني بخيانتها، أما ياسر فيعرض عليّ وظيفة براتبٍ لا أحلم به. يتحدثون جميعًا في وقتٍ واحد، تنضم للمشهد العجوز ذات جرح الجبين الغائر وشعيرات الذقن البيضاء صارخة: "أنت مش أحسن منه"، تعلو أصواتهم، يحدثونني جميعًا في الوقت نفسه، لا يرون بعضهم بعضًا، يعاملني كلٌ منهم على أنني ملكه وحده، أمسك رأسي وأصرخ طالبًا الكفاية. أشعر بصداع حاد، أنظر للساعة فأجد قد مر على محادثتي لأشرف نصف ساعة، أعتقد أنه أقترب من الوصول إلى هنا، أحاول السيطرة على نفسي وعدم التفكير إلا في المواجهة المقبلة، يلاعبني عقلي، يتحداني مستعرضًا أمامي ما يؤلمني، لا حدَّ للخيال المزعج، ولا نهاية أجدها لكوابيس الماضي، ولا حلًا مقنعًا لتجاوز الحاضر، ولا احتمالات مبشرة للمستقبل. يضغط عليّ إحساس العجز ثانيةً للقفز من الحافة قبل وصول أشرف، يضغط الخوف على العجز ليُرجعه لمساحته الطبيعية وينتصر مرةً أخرى في صراعٍ متكرر، أنتظر بشدة اللحظة التي قد يتغلب فيها العجز على الخوف فينهي كل شيء، عليه التفكير في طريقة مختلفة يحتال بها على خوفي حتى لا يخسر لمرة جديدة.

أرى نفسي محتاجًا للعودة لما قبل نقطة الصفر، إلى اللحظة التي قررّتْ فيها والدتي الذهاب لفرح أختها متحدية مرضي. في حياةٍ أخرى تبقى والدتي جواري، ترعاني وتهتم بي فلا تموت وأبي في اليوم نفسه، بعد سنواتٍ كثيرةٍ أعود لهما راغبًا خِطبةَ غدير فيعترضان دون أسباب ويمنعانني من ارتكاب هذه الحماقة فلا أصل أبدًا إلى نقطة الصفر. تتغير النتائج وأنعم بدنيا مختلفة خالية من غدير وياسر ومحفوظ ورافي، لا حاجة فيها لأية معرفة سخيفة، لأية مواجهات مهما كان نوعها، أرى نفسي في جنة تُفسدها صورة غدير الحقيقة التي لا ترغب في مفارقتي، جملتها "أنا حامل" تضغط على جهازي العصبي بشدة، أسترجع رغمًا عني الحديث القصير الذي دار بيننا بعد هذه الجملة، "ممّن؟" تتجاهل الإجابة على سؤالي وتخبرني أنها مستعدة

للتخلص من ذلك الجنين والبدء معي من جديد. أكرر سؤالي لها ثانية غير عابئٍ بقولها فترد بأن مشكلتي الثابتة دائمًا هي الرغبة في عدم المعرفة حتى لا ألتزم بتحمُّل أية مسئولية، أتساءل بنفادِ صبرٍ متجاهلًا خُطبها الطويلة "ممَن؟"، فتجيب "توقّع"، "متجاوبيش سؤالي بسؤال!" أقولها بعصبية فلا ترد، "ياسر" أقولها منتظرًا ردها الإيجابي فتزيد من عصبيتي قائلةً: "أو محفوظ، في لعبتك كل حاجة محتملة، ابن خالتك اتهجّم عليّ وأنت مش موجود."، أقف مشدوهًا أمامها، أتحرك للخروج من الغرفة، تكمل سلسلة كلامها البارد: "مش تسألني هسمّيه إيه؟"، أفتح باب الشقة وأغادر، أسمعها تقول: "خاطر".

رغبت في قول الكثير لكن ما سمعته منها أخرسني، الآن أود إخراج ما يوازي جرعة الألم المكثفة التي حقنتني بها، ابنك أو ابنتك يا غدير أيًا كان جنسه سيلتصق به عارك طوال حياته، إذا قدّر لي الله الخروج من شدتي فسأجعل من المحاكم بيتًا دائمًا لك، سأثبت الخيانة، وسينادَى ابنك في كل مجلس بابن غدير، سيكون طفلًا لا أب له، سيكرهك أضعاف كرهي لك، سيكره رؤيتك، إما أن يهرب ويتركك تعانين الفقد. أما الاحتمال الذي أؤيده وأتمناه أن تلقي حتفك على يده بعد أن يعجز على التعايش مع مأساته التي تسببت له فيها بخيانتك.

تعلم غدير نقاط وجعي ومع ذلك لا تتردد في الضغط عليها، كان يمكنها أن تطلب مني أن نتجاوز الخلافات ونبدأ لكنها آصرت وضعي أمام كل تطورات الحكاية، بمَ أفادتني معلومة الجنين الذي نبت في أحشائها، أو معرفتي لما فعله محفوظ بها، لما تُصرّين يا غدير دائمًا على إظهار قلة حيلتي وضعفي، على كشفي أمام نفسي، على جعلي ضئيلًا أمام العالم.

تصل سيارة أشرف الضخمة محدثةً عاصفةً من الغبار فأنهي تذكّري، ينزل منها، أحكي له ما حدث معي اليوم وأبلغه برغبة خالد الشيخ في التواصل معه، أمسك بالموبايل واتصل بسعد الذي يوصلني بخالد، أنقل الموبايل إلى أشرف الذي يتحرك للتحدث بعيدًا عني، تتغير لهجة تحدث

أشرف مع خالد، من يرى الهدوء المسيطر على المكالمة يعتقدهما صديقين قديمين، تستمر المكالمة دقائق، يعيد لي أشرف الموبايل فأجد خالد الشيخ يشكرني على المساعدة التي قدمتها، أنهي المكالمة، يسألني أشرف مجددًا عن الفلاشة فأخبره بمجهوداتي في البحث عنها، يتجه صوب سيارته ويُخرج اللاب توب وأوراقي، أرجوه تسليمي إياها، يضحك، يبلغني أنه لا فائدة من استعطافه، ويُذكّرني بأنه وضع حياتي أمام الصور والڤيديوهات التي أرادها، يلقي اللاب توب والأوراق من أعلى الحافة ويسألني عن سبب واحد حتى لا يقتلني، أسكت، تنهمر دموعي رغم محاولة كبحها، أخبره أن الشخص الذي أمامه ميت بالفعل، خانه أقرب الناس له، ضاعت تجربته، راحت روايته التي بذل فيها مجهودًا لا يوصف وضحّى قربانًا لها بعلاقاته المقربة، أستطرد، أنا شخصٌ مُنتهٍ، ما أقدمت عليه كان أكبر مني وأعمق من استيعابي، لم يعُد لروايتي وجود وقد نلت الألم بلا مقابل. رافقني الخوف كظل والعجز كرفيق، أرجو إلحاقي بمحفوظ؛ لأني لا أملك الشجاعة لتنفيذ ذلك. يبدو على أشرف الاستمتاع بالعرض المونودرامي الذي أقدمه، يخبرني أنه لن يقتلني الآن لأنه إنسان رحيم، سيفعلها في حالة ظهور نسخة أخرى من المحتوى الذي حصل عليه من محفوظ، ينتقل للحديث عن حقيبة خالد، يُخرجني من هذا الموضوع تمامًا ويخبرني أنه سيقوم بتسويته مع خالد الشيخ.

لم أكترث بأي شيء مما قاله هذه المرة، غرقت في الحزن، لقد انتهى عالمي، وأمام الحياة التي مُنحت لي من جديد ضاع تعب دهر، أفيق على مغادرته. ألعنه لأنه لم ينفذ تهديده، أحسد محفوظًا على النهاية القريبة التي نالها، أغلق سيارتي وأقرر المشي حتى أجد مَن يقلّني معه، وأحاول أن أرى الجانب المشرق فيما أنا فيه، يمكنني الآن العودة وإحالة حياة غدير جحيمًا، ويمكنني أيضًا البحث عن رافي وإيجاده والحصول منه على فكرة رواية جديدة، بالإضافة لذلك يمكن أن يحل سعد مكان محفوظ ويصبح صديقًا مُقربًا، أما ياسر فسأعود إلى شركته لممارسة عملي كالمعتاد، وإذا فكر في طردي فسأطلب من سعد

مساعدتي في الانتقام منه.

وسط صخب الأفكار إحساس ما يدفعني إلى الاقتراب من الحافة، عند طرفها أمدُ رأسي في محاولة رؤية أيّ من أوراقي التي ألقى بها أشرف، أو التعرُّف إلى قطعة من بقايا اللاب توب، أفتش بعيني فلا أجد لهما أثرًا، أمدُ عنقي أكثر محاولًا توسيع رقعة بحث العين، أشعر بجسمي يميلُ إلى الأمام، يختلّ توازني، أسقط.

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية

والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

maktabbah.blogspot.com